هذا كتاب شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من
الكافية الشافية تأليف الفقير الحديد الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين
وصلى الله على محمد وآله وسلم
م م م
م

وهو بين الإله الأحد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله العظيم الكبير الحميد المجيد الذي له الالوهية وصفا والعبودية
وصفا للعبيد الموصوف بالاوصاف الكاملة العليا المدعو بالاسماء الحسنى
الحسنى الذي له كل كمال وجلال وجمال وله يد كل احسان ونعمة وافضال
الذي خلق الخلق وادر عليهم واسبغ الرزق ليقوموا بتوحيده ومحبته وعبادته
فيثيبهم ويتم عليهم نعمته باصناف كرامته **احمده** على ماله من وصف عظيم
واحسان جسيم وبر وتكريم **واشهد انه** الاله حقا الذي دل على توحيده
جميع ادلة العقل والنقل واذعن لعبوديته اهل الكمال والفضل **واشهد**
ان محمدا عبده ورسوله افضل العارفين واجل الموحدين وواسطة عقد نظام
الانبياء والمرسلين وهو الامام الكامل لجميع العابدين صلى الله عليه وعلى اله وصحبه
اجمعين **اما بعد** فان الله تعالى خلق الخلق لعبادته واوجدهم للقيام
بمعرفته ومحبته وبين لهم في كتبه المنزلة من السماء وعلى السنة رسله تبيينا كافيا
واوضح لهم جميع الطرق الموصلة الى هذه الغاية الفاضلة توضيحا وافيا خصوصا
في القران العظيم وعلى لسان محمد النبي الكريم فان في القران والسنة من تفاصيل معرفة الله
باسمائه وصفاته وتوحيده ما ليس في غيرهما فتعين على العباد الاقبال عليهما والتدبر
والتفكر فيهما اذ لا سبيل لهم الى معرفة ما خلقوا له الا بمعرفتهما ولا طريق
لهم الى الوصول الى ربهم والى دار كرامته الا بالقيام بحقهما ولما كان الباري تعالى
قد امتن على هذه الامة بعلماء ربانيين وفضلاء متقنين قد بذلوا نفائس اعمارهم واعملوا
جواهر افكارهم في استخراج كنوز الوحي ومعانيه وحل الفاظه المعصومة ومبانيه
فحصل لهم بذلك علم كثير وفضل غزير وصاروا الهداة الائمة الائمة واقتدى بهداهم وسيرهم
وطريقتهم جميع اصناف الامة **ومن** له في هذا الشان القدم العليا والقدح المعلى والباع
الاعلى الامامان العظيمان والحافظان الثقتان شيخ الاسلام تقي الدين الامام ابو العباس
احمد بن عبد الحليم بن تيمية والامام ابو بكر شمس الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية قدس الله
ارواحهما فانه قد حصل لهما من العلم والفهم للكتاب والسنة واستخراج علومهما
ما فاقا فيه كبار العلماء وسبقا فيه الجهابذة النبلاء خصوصا علم التوحيد والعقايد السلفية
فان الله من على المسلمين بهما وبينا لهم ذلك ما لم يبينه احد ونصرا مذهب اهل السنة
والحق نصرا عظيما ودحضا مذاهب الضالين والمبتدعين فصنفا في ذلك المصنفات التي سارت في
مشارق الارض ومغاربها وانتفع بها الموافق والمخالف ومعرفة كتبهما والوقوف عليها فيه
كفاية لمعرفة اقدارهما وعلو مرتبتهما ولما كانت الكافية الشافية لشمس الدين بن القيم قد اشتملت على عالم
لم يشتمل عليه كتاب في فن التوحيد والعقايد والاصول واحتوت على تفاصيل كثيرة لا توجد في سائر

حتى

حتى كتب مؤلفها وكانت قد تكرر على الطلب من بعض الاصحاب في وضع تعليق عليها فرأيت
ذلك من الامور المتعسرة علي لانه يستدعي وقتا كثيرا ويشغلني عن ما هو اهم عندي منه ثم
استخرت الله تعالى على وضع شرح لطيف على توحيد الانبياء والمرسلين منها ومتعلقاته
اذ هو اهم ما فيها واحسنه والحاجة بل الضرورة ماسة الى معرفته وربما كان الاقتصار عليه اولى وانفع
من السعي في شرح جميعها لامور كثيرة واكثرت فيه من النقل لعبارات المؤلف في كتبه التي فيها
ايضاح وتبيين يعين على فهمها لانه احسن ما يشرح كلامه بكلامه فجاء بحمد الله كتابا وافيا بمقصوده محتويا على جواهر
ونفائس علم التوحيد الذي هو اشرف العلوم على الاطلاق واسأل الله تعالى ان يجعله
خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به النفع العميم انه جواد كريم رؤوف رحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في بيان توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد [illegible] والمعطلة

وهذا التوحيد هو التوحيد على الحقيقة الذي لا يستحق هذا الاسم غيره وهو التوحيد الوحيد في ذاته وحقيقته وادلته وبراهينه وآثاره الفاضلة فهو كتوحيد الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه واقام الادلة والبراهين على صحته وتعيينه طريقا للنجاة والفوز والسرور والسعادة في الدنيا والاخرة الا بسببه وهو الذي اعد الله لاهله ومن قام به انواع الكرامات ومن لم يقم به انواع العقوبات وهو الذي عليه الحساب والاساس لجميع الاعمال فكل عمل غير مبني على التوحيد فهو باطل مضمحل وكل بناء مبني على غير فهو بناء على شفا جرف هار وهو التوحيد الذي عليه خيار الخلق واكملهم عقولا وادراكا واجمعهم للمحاسن وهم الانبياء والمرسلون ومن تبعهم فهذه ولاية كل ملحد ومعطل ممن مرجت اديانهم وفسدت عقولهم واكتسبوا اشر الاخلاق وعطلت قلوبهم من معرفته ومحبته والسنتهم من ذكره وصوارحهم من طاعته ممن خالف الانبياء والمرسلين في توحيدهم وطريقهم في الدليل والمدلول فتوحيد الانبياء والمرسلين مشتمل على الحق والصدق المزكي للنفوس المطهر للاخلاق وادلته كل دليل عقلي صريح وكل دليل نقلي صحيح وتوحيد الملاحدة والمعطلة مشتمل على ابطل الباطل مؤيد بالشبه التي لا تستمن ولا تغني من جوع ويهي على جهل اهلها وفساد عقولهم وافهامهم من اكبر الادلة ولهذا قال الله فاسمع اذا توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان ثم هذه الانواع وانظر ايها ولى دبر الميزان بالرجحان

وهذا الان الشيء يعرف بضده والحق يتضح ويبين بمعرفة الباطل فانك اذا وزنت بميزان العقل الحقيقي والفطرة الاولى التي لم تغير والعواطف الدالة على الحقائق توحيد الانبياء والمرسلين وتوحيد غيرهم وجدت بينهما من الفروق

من الخلوق ما لا يخفى على عاقل ادنى مسكة من عقل وكيف يوزن توحيد المرسلين
والملئكة المشتمل على مسبة رب العالمين ووصفه بكل صفة فاقصة
ونقص فانه اوصافه الكاملة والافتراء عليه وعلى رسله وكتبه وجعل
المخلوق الناقص من جميع الوجوه مساويا للخالق الكامل من جميع الوجوه بتوحيد
الانبياء والمرسلين المشتمل على تعظيم رب العالمين وتقديسه والثناء عليه بما حمل
الثناء ووصفه بكل صفة كمال وتنزيهه عن التمثيل والتشبيه ومشاركة احد من
المخلوقات في خصائص صفاته المقدسة وكيف يوزن توحيد من قام به
الى اعلى عليين بتوحيد ينزل بصاحبه الى اسفل سافلين ام كيف يوزن
توحيد يجعل من اتصف به هاديا مهديا وطالعا مضيا بتوحيد يكسب
اهله الضلال والاضلال وازدل الخصال واشقاء الابدي والعذاب السرمدي

توحيد لهم نوعان قولي وفعلي كل نوع منه ذو شان

ان توحيد الانبياء والمرسلين ينقسم قسمين احدهما التوحيد الفعلي
وهو افراد الله بالمحبة والذل وسائر العبادات والقربات وياتي في اخر رسالته
ان شاء الله ما يتعلق به والمعبر عنه بتوحيد العبادة وبتوحيد الالهية ويسمى توحيدا فعليا
لانه متض لافعال القلوب والجوارح فهو توحيد الله بافعال العبيد
وان لا يتخذ له شريك ولا ند والثاني التوحيد القولي المشتمل على اقوال
القلوب وهو اعترافها واعتقادها وعلى اقوال اللسان والثناء على الله به وهذا
النوع هو توحيد الاسماء والصفات الذي يدخل فيه توحيد الربوبية
وكل واحد من النوعين له براهين وادلة عقلية ونقلية فبدا المصنف رحمه الله بالتوحيد
القولي فقال

فالاول القولي ذو نوعين ايضا في كتاب الله موجودان
احدهما سلب وذا نوعان ايضا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان

يعني ان التوحيد القولي على نوعين موجودين في كتاب الله احدهما
سلب اي نفي للنقائص والعيوب عن الله والثاني اثبات الصفات
الكاملة له كما سيأتي ان شاء الله وبدأ بالسلب لانه وسيلة ومقصود لغيره

فكان المقصود اثبات صفات المدح والحمد وكل ما نفاه الله عن نفسه او نفاه عنه
رسوله من النقائص فانه متضمن للمدح والثناء بضد ذلك النقص من الاوصاف
الحميدة والافعال الرشيدة وهذا السلب عام فتسمية ذكرها المصنف بقوله

سلب متصل ومنفصل فيها نوعان معروفان اما الثاني
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع بدون اذن الخالق الديان
وكذا كل سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عابد والصلبان
وكذا كل نفي الكفؤ ايضا والولي لنا بسوء كرحمن ذي الغفران

يعني ان ما نزه الله عنه من النقص ويسلب عنه من العيوب نوعان سلب
لمتصل وضابطه نفي ما يناقض ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله كما سيأتي
وسلب لمنفصل وضابطه تنزيه رب العالمين ان يشاركه احد من الخلق في
خصائص التي لا تكون لغيره وذلك كنفي الشريك لله فان الله متفرد بالملك
والقدرة والتدبير فليس له شريك في الملك وليس له ايضا ظهير كعون يعاونه
على خلق شيء من المخلوقات او تدبيرها لكمال قدرته وسعة علمه ونفوذ
مشيئته وعجز المخلوقين وعدم حولهم وقوتهم الا بالله فالشريك والظهير
منفيان عنه مطلقا واما الشفيع فانه ينفى عنه ان يشفع احد عنده على وجه
يكون نقصا في حق الله كان يشفع عنده احد بغير اذنه كما يشفع الوزراء عند
الملوك والسلاطين واما الشفاعة عنده باذنه فانها ثابتة كما نبينها
عند مواضعها من كتابه وذلك لانها دالة على كمال رحمته تعالى وعموم احسانه
فانها من رحمته بالشافع والمشفوع له فالشافع ينال بها الاجر والثناء من الله
ومن خلقه والمشفوع له يرحمه الله على يد من اكرمه بالشفاعة فيه ومع هذا
فلا يأذن لاحد بالشفاعة الا فيمن ارتضى قوله وعمله وهو من كان مخلصا
متابعا للرسول قال تعالى نافيا لهذه المراتب الثلاثة الملك والشركة فيه والعون
له والشفاعة بغير اذنه عن كل ما عبد من دونه من اهل السماء والارض قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له فقطع في هذه الاية كل سبب يتوسل به المشركون لدعوة غيره
وان من كان بهذه الوصف لا ملك له بوجه من الوجوه ولا شركة في الملك ولا معاونة
ومظاهرة فيه وليس له شفاعة بدون اذن الله لا يستحق من العبادة مثقال

وما لهم

ذرة

ولدا ذرة وكذلك يسلب وينفي عن الله الزوجة والولد الذي ينسبه اليه عباد
صلبان وهم النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وكذلك ينسبه اليه عباد الاصنام
حيث قالوا الملائكة بنات فكذب الله كل من اثبت له زوجة او ولدا فقال قل هو الله
احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله وقال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقال تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وقال تعالى لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا وقول المصنف نسبوا اليه عابد صلبانا هذا على لغة من
يلحق الفعل المسند الى الظاهر علامة التثنية والجمع وهي لغة ضعيفة تحمل عليها
الضرورة واللغة الفصحى ان يفرد الفعل المسند الى الظاهر فيقال نسب اليه عابد صلبان
وقوله وكذلك نفي الكفء ايضا اي يتعين ان ينفي عن الله الكفء الذي نفاه عن نفسه
في قوله ولم يكن له كفوا احد هل تعلم له سميا فلا تجعلوا لله الانداد ليس كمثله
شيء فليس احد من الخلق مكافئا لله اي مساويا له في الذات ولا في الصفات
ولا في الافعال لانه الخالق الكامل من كل وجه وسواه مخلوق ناقص ان لم يكمله ربه
بكماله اللائق به فليس احد له صفات تقارب صفات الله او له افعال تشبه
افعال الله بل ليس لاحد من الخلق استقلال بفعل شيء اصلا حتى يعينه
الله على افعاله ولو كانت افعال العباد تابعة لمشيئة فما تشاؤون الا ان يشاء الله

في الحاشية اليمنى: اتخذ الرحمن ولدا هذا على لغة من قول الذي كفء ولا سمي قبل حتى

رب العالمين والله خلقكم وما تعملون وكذلك مما ينفي عن الله ان يكون لنا ولي من
دونه يحصل لنا المطالب الدينية والدنيوية او يدفع عنا مضار الدين والدنيا بل ليس لنا
ولي الا هو فهو الذي يتولى خلقنا وتدبيرنا وتربيتنا العامة والخاصة فالولاية
العامة ولاية الخلق والتدبير الشاملة للبر والفاجر قال تعالى مالكم من دونه
ومالكم من ولي ولا نصير والولاية الخاصة هي ولايته للذين امنوا وكانوا يتقون يخرجهم
بها من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي الى نور العلم والايمان والطاعة قال تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وقال تعالى الله ولي
الذين امنوا وكذلك لا يتخذ احدا من خلقه ولياً من الذل لكمال اقتداره وعظمته بل يتخذ
منهم اولياء رحمة بهم واحساناً منه اليهم يحبهم ويحبونه والحاصل انه ليس احد من
الخلق مساوياً لرب العالمين ادنى مماثلة ولا قريباً ولا وزيراً بوجه من الوجوه

والاول التنزيه للرحمن عن ... وهذا لعيوب وكل ذي نقصان
كالموت والاعياء والتعب الذي ... ينفي اقتدار الخالق الديان
والنوم والسنة التي هي اصله ... وعزوب شيء عنه في الاكوان

هذا القسم الاول من قسمي السلب المنفي عن الله وهو التنزيه لله عن ان يتصف
بعيب او نقص بناقض كمال او صافه فهو موصوف بكل صفة كمال منزه
عن ضدها وعن نقصها فهو موصوف بكمال القدرة منزه عن ما يضادها
من الموت والاعياء والتعب واللغوب فانه لو كان موصوفا بشيء من ذلك لكان
ناقص القدرة قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال تعالى ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وهو
تعالى موصوف بالحياة الكاملة التامة منزه عن ما يضادها من النوم والنعاس
الذي هو اصل النوم قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
وكذلك هو موصوف بالعلم المحيط بكل شيء يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما بين العباد وما يعلنون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ومنزه عن كل ما
ينافي ذلك فلا يعزب عن علمه ولا يغيب عن علمه وبصره وسمعه شيء في السموات
والارض

والارض قال تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقال تعالى
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين

وكذلك العبث الذي تنفيه حكمته وحمده ذي الاتقان
وكذاك ترك الخلق عمالا سدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا امر ولا نهي عليهم من اله قادر ديان

اي وكذلك ينزه الله عن العبث في الخلق والامر وانه خلق شيئا عبثا وباطلا او
شرع شيئا عبثا لانه حكيم حميد فمن تمام حكمته وحمده اتقان المخلوقات
واحكامها واحسان المأمورات على اكمل وجه واتمه وهذا امر مشهود في الخلق والامر
تحير حكمة الالباب ويستدل بما بان من الحكمة فيها على ما خفي على العباد ومن
تمام الحكمة انه لم يخلق الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا
يعاقبون على تلك الاوامر والنواهي بالبعث بعد الموت فالحكمة والحمد دالان
على انه خلق المكلفين لينفذ فيهم احكامه الشرعية ثم بعد ذلك يبعثهم بعد موتهم
الى دار تجري فيها احكام الجزاء والثواب والعقاب قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ان يوصف بهذا الظن والحسبان لانه
لا يليق بجلاله وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى الآية فالذي نقله في هذه الاطوار لا يليق به ان يتركه مهملا
سدى لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب قال تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد

وكذاك ظلم عباده وهو الغني عماله والظلم للانسان

اي وكذلك ينزه الله تعالى عن الظلم للعباد بان يزيد في سيئاتهم او ينقص من
حسناتهم او يعاقبهم على ما لم يفعلوا فان الظلم لا يفعله الا من هو محتاج اليه
او من هو موصوف بالجور واما الله تعالى الغني عن خلقه وما جميع الوصوة
العادل الحميد فمن اله وظلم العباد قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال
تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
وهو من فلا يخاف ظلما ولا هضما وقال تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا رواه مسلم من حديث ابي ذر

وصلته بنسخة مصباح

وكذا ذكر غفلته تعالى ونفوعلام الغيوب فظاهر ان
وكذا نفي النسيان على الحقيقة لاتعتريه قط من غفلة ونسيان
وكذا ذكر حاجته الى طعم ورزق ونحو ذلك باجماع
اي وكذلك ينزهه الله تعالى عن الغفلة والنسيان لانه عالم الغيب والشهادة
وعلمه محيط لايعزب عنه مثقال ذرة ولا يعرض لعلمه نسيان ما علمه او
قال علمها م نسيانها او الذهول عنها كما قال تعالى في كتاب عندي لايضل ربي ولا ينسى
وكذلك ينزهه تعالى عن احتياجه الى الطعام والرزق لانه تعالى هو الرزاق
لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء اليه محتاجون اليه قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقال
تعالى وهو يطعم ولا يطعم

هذا وثاني نوعي السلب الذي تحاول الاقناع في الميزان
تنزيه اوصاف الكمال له عن التشبيه والتمثيل والنكران
لسنا نشبهه وصفه بصفاتنا ان المشبه عابد الاوثان
كلا ولا نخليه من اوصافه ان المعطل عابد البهتان
من مثل الله العظيم بخلقه فهو المنسب لشر نصران
او عطل الرحمن من اوصافه فهو الكفور وليس ذا ايمان

هذا النوع الثاني من نوعي السلب الذي ينزهه الله عنه الذي تحاول الموزن
الشيخ في السلبي في الميزان اراد في هذه القصيدة وتقدم النوع الاول من قسمي
السلب وهو السلب المتصل والمنفصل المتضمن لتنزيهه عن النقائص والعيوب
وعن مشاركة احد من الخلق له في صفاته الخاصة به وعن ما ينافي كماله
وهذا النوع يرجع الى حفظ كماله ونعوت جلاله عن تشبيهها بصفات
الخلق فلا يقال علم الله او قدرته كعلم الخلق او قدرهم او ارحمته كرحمة خلقه
ونحو ذلك فان هذا كله تشبيه لله بالخلق ومن كان كهذه الحال فانه يمثل
بفكره صنما ووثنا يعبده كما فعل كفار النصارى بالمسيح بن مريم جعلوه الههم
ومعبودهم فالمشبه منسب ومشبه للنصراني ورب العالمين فوق
ما يظنون واعلى مما يتوهمون فانه كما ان ذاته لا تشبهها ذوات
المخلوقين

المخلوقين فصفاته لاتشبهها صفاتهم وعن تعطيل صفاته ونفيها
كما فعلته الجهمية المعطلة ومن تبعهم من المتكلمين فان ذلك رد لنصوص
الكتاب والسنة ودلالة على اتصافه بصفات الكمال فيتوهم المعطل ان
ظاهر النصوص يدل على التشبيه فينفيها بوهمه الفاسد ويصير قلبه
متعبدا للعدم المحض لانه لايعقل ذات ليس لها صفة ولا نعت ولا
يعقل من قول الجهمية ومن تبعهم ان الله ليس بداخل العالم ولا خارجه
الا العدم المحض والنفي الصرف فانه كفر بايات الله وتكذيب للرسل ورد
لما جاؤا به ولهذا قال المعطل فهو المعدوم وليس ذا ايمان ولكن سيأتي
ان شاء الله في كلام المصنف حكم الجهمية وغيرهم من المعطلة والتمييز بين من
يكفر منهم ومن لعذر بتاويله وبالجملة فالناس في هذا المقام ثلاثة اقسام
مؤمن موحد ومشبه ومعطل فالمؤمن الموحد يصف الله بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله من صفات الكمال على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته
من غير تمثيل ولا تشبيه ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء مما وصف الله
والمشبه هو الذي يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين او يتعرض لمعرفة
كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها غير الله والمعطل هو من نفى شيئا من صفات
الله وكل من المشبه والمعطل قد حرم الوصول الى معرفة ربه على وجهها
وابتلي بالتخلق والتحريف لنصوص الوحي وكما انه مناقض للوحي فهو
مناقض لما دلت عليه الفطر التي لم تغير والعقول المستقيمة فلا معقول لديهم
ولا منقول وهدى الله اهل السنة والجماعة لاتباع الحق المنقول عن الله
وعن رسله والمعقول الذي دل عليه الكتاب والسنة يظهر لبصير ما عليه هذه
الطوائف من المسائل والدلائل وتحقيقها ونسأله الهداية لاقوم الطرق واهداها

فصل في النوع الثاني من النوع الاول وهو النبوات

وهذا اشرف القسمين واجلهما وهو المقصود لذاته ومجمله ما ذكره المصنف في هذا البيت
حيث قال هذا ومن توحيدهم اثبات ما وصاف الكمال لربنا الرحمن
اي من توحيد الانبياء والمرسلين واتباعهم اثبات كل صفة للرحمن وردت
في الكتب الالهية والنصوص النبوية ثم شرع يفصل شيئا منها فقال

كعلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه اذ يستحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذي حقا على العرش استوى قد قام بالتدبير للاكوان

اما علو الباري تعالى فوق جميع المخلوقات ومباينته لها فقد دل عليها
مع النصوص الكثيرة العقل الصريح فانه علي بذاته فوق جميع مخلوقاته
ويستحيل ان لا يكون عليا فانه يستحيل ويمتنع ان يكون هو نفس المخلوقات
ويمتنع ايضا ان يكون حالا فيها فتعين ان يكون فوقها مباينا لها واما
استوائه على العرش العظيم فيستفاد من النقل صريحا قال تعالى الرحمن على
العرش استوى وسئل الامام مالك رحمه الله عن كيفية الاستواء فقال
الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه اي
عن الكيفية بدعة فلما انه تثبت له صفاته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته
فالاستواء من جملة اوصافه الفعلية فاستوى على العرش واحتوى على
جميع الملك يدبر الامر في اقطار العالم العلوي والسفلي فلا يتحرك متحرك الا باذنه
ولا يوجد شيء الا بمشيئته قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال ثم استوى
على العرش يدبر الامر

حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وارادة وحنان

اي هو تعالى حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات لا تأخذه
سنة ولا نوم قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وهو المريد
القادر اي كامل الارادة والقدرة وجمع بينهما لان جميع الافعال
المتعلقة بذاته كالاستواء والنزول الى السماء الدنيا والمجيء يوم القيمة ونحو ذلك
والمتعلقة بخلقه كالاحياء والاماتة والخلق وجميع انواع التدبير وجميع
الاقوال تصدر عن القدرة والارادة فما وجد علم ان الله اراده وخلقه
ومالم يوجد علم انه لم يرده فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن واذا كان
كامل القدرة والارادة علم انه ما في الكون من حول وقوة الا مستفادة
وتابعة لحول الله وقوته متكلم اي لم يزل ولا يزال موصوفا بالكلام
فيتكلم بما اراد كيف اراد وحيث اراد ذو رحمة وحنان اي قد اتصف
بالرحمة وعم خلقه بالنعم والاحسان والبر والحنان واللطف والامتنان

هو اول هو آخر هو ظاهر هو باطن في اربع بوزان

ما قبله شيئ كذا ما بعده شيئ تعالى الله ذو السلطان

ما فوقه شيئ كذا ما دونه شيئ وذا تفسير ذي البرهان

فانظر الى تفسيره بتدبر وتبصر وتعقل لمعان

وانظر الى ما فيه من انواع معرفة لخالقنا العظيم الشان

قال الله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث كنت انت الاول فليس قبلك شيئ وانت الآخر فليس بعدك شيئ وانت الظاهر فليس فوقك شيئ وانت الباطن فليس دونك شيئ الحديث ولهذا فسر المصنف هذه الاسماء الاربعة المباركة بما فسر بها النبي صلى الله عليه وسلم وقال وذا تفسير ذي البرهان اي تفسير الرسول الذي كلامه اعلا درجات البيان والايضاح بعد كلام الله تعالى فانه مشتمل على اثبات معانيها ونفي ما ينافيها ويضادها وحث المصنف على تدبر هذه الاسماء الاربعة وتعقل معانيها وانها مشتملة على امور عظيمة من انواع معرفة الله تعالى التي بها تحيا القلوب وتستنير الافئدة فلنسق كلام المؤلف في شرح البيتين على هذه الاسماء الاربعة فانه شفاء وكفاية قال رحمه الله على كلام شيخ الاسلام الانصاري في قوله كثانية الرجوع الى فضل الله ومطالعة سبقه الاسباب والوسائط فبفضل الله ورحمته وجدت منه الاعمال والاقوال الشريفة والمقامات العلية وبفضله ورحمته وصلوا الى رضاه ورحمته وقربه وكرامته هو الله ولا اله الا هو سبحانه هو الاول في ذاته كما انه الاول في كل شيئ وكان هو الآخر في ذاته كما هو الآخر في كل شيئ فمن عبده باسمه الاول والآخر حصلت له حقيقة هذا الفقر فان اضافة العبودية باسمه الظاهر الباطن فهذا هو العارف الجامع لمتفرقات التعبد ظاهرا وباطنا فعبودية باسمه الاول تقتضي التجرد من مطالعة الاسباب والوقوف والالتفات اليها وتجريد النظر الى المجرد سبق فضله ورحمته وانه هو المبتدئ بالاحسان من غير وسيلة من العبد اذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده واي وسيلة كانت هناك وانما هو عدم محض وقد اتى على حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فمنه الاعداد ومنه الامداد وفضله سابق على الوسائل والوسائل من مجرد فضله وجوده لم تكن هي وسائل اخرى فمن نزل اسمه الاول على هذا المعنى اوجب له فقرا خاصا وعبودية خاصة وعبودية باسمه الآخر تقتضي ايضا عدم ركونه ووثوقه بالاسباب والوقوف معها فانها تعدم لا محالة وتنقضي بالآخرة ويبقى الدائم الباقي بعدها فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول فالمتعلق به حقيق بان لا يزول ولا ينقطع بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به كما نظر العارف البير

يسبق الاولية حيث كان قبل الاسباب كلها فكذلك نظره اليه بقاء الاخرية
حيث يبقى بعد الاسباب كلها فكان الله ولم يكن شيئ غيره وكل شيئ هالك الا وجهه
فتأمل عبودية هذه الاسم وما يوجبانه من صحة الاضطرار الى الله وحده
ودوام الفقر اليه دون كل شيئ سواه وان الامر ابتدأ منه واليه يرجع
فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة واليه تنتهي الاسباب والوسائل
فهو اول كل شيئ واخره وكما انه رب كل شيئ وفاعله وخالقه ومالكه فهو
الهه وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال الا بان يكون وصوله غاية
وغايته ومقصوده فهو الاول الذي ابتدأت منه المخلوقات والاخر الذي
انتهت اليه عبوديتها وارادتها ومحبتها فليس وراء الله شيئ يقصد ويعبد
ويتأله كما انه ليس قبله شيئ يخلق ويبرئ فكما كان واحدا في ايجادك
فاجعله واحدا في تألهك اليه لتصح عبوديتك كما ابتدأ وجودك وخلقك منه
فاجعله نهاية حبك وارادتك وتألهك اليه لتصح لك عبودية باسمه الاول
والاخر وكل الخلق تقبد واله باسمه الاول وانما الشان في التعبد له باسمه الاخر
فهذه عبودية الرسل واتباعهم فهو رب العالمين واله المرسلين سبحانه وبحمده
واما عبودية باسمه الظاهر فكما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانت
الظاهر فليس فوقك شيئ وانت الباطن فليس دونك شيئ فاذا تحقق العبد
علوه المطلق على كل شيئ بذاته وانه ليس فوقه شيئ البتة وانه قاهر فوق
عباده يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون وانه يصعد اليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه صار لقلبه اكمل
ما يقصده ويريده ويعبده والها
يتوجه اليه بخلاف من لا يدري اين ربه فانه ضائع مشتت القلب
ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه اليه فيعبده وصاحب
هذا الحال اذا سئل وتأله وتعبد طلب قلبه الها يسكن اليه ويتوجه اليه
وقد اعتقد انه ليس فوق العرش الا العدم وانه ليس فوق العالم اله يعبد
ويصلي له ويسجد وانه ليس على العرش من يصعد اليه الكلم الطيب
والا يرفع اليه العمل الصالح حال قلبه في الوجود جميعه فوقع في الاتحاد
والحلول وتعلق قلبه بالوجود المطلق الساري في المعينات فاتخذه الها
من دون الله الحق وظن انه قد وصل الى عين الحقيقة وانما قاله وتعبد
لمخلوق مثله ولخيال نحته بفكره واتخذه الها من دون الله سبحانه
واله المرسلين

والله الرسل وراء ذكد كله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
٨ ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله
ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون وقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
الى قوله قليلا ما تذكرون فقد تعرف سبحانه الى عباده بكلامه معرفة
لا ينكرها الا جاحد عن انكر سبحانه وان زعم انه مقر به والمقصود
ان التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود ويجعل له ربانيته
وصمديته يصمد اليه في حوائجه وملجأ يلجأ اليه فاذا استقر ذلك في قلبه
وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبودية وصار له معقل وموئل
يلجأ اليه ويهرب اليه ويفر كل وقت اليه وأما تعبده باسمه الباطن
فامر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته ويكل اللسان عن وصفه فيصطلم
الاشارة اليه وتجعف العبارة عنه فانه يستلزم معرفة بريئة من شوائب
التعطيل مخلصة من آفات التشبيه منزلة عن رجس الحلول والاتحاد
وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه وذوقا صحيحا سليما من اذواق
اهل الالحاد ممن لم يذق هذا فهم معنى اسمه الباطن وصح له التعبد له
وسياحة القلب في هذا المقام اقدام وضلت عنه افهام وتكام فيه
الزنديق بلسان الصديق واشتبه فيه ضوء البصائر بالخفاش المحض
لشدة الافهام عنه وعزة الاخلاص الحق من الباطل فيه والتباس ما في الذهن
بما في الخارج الا على من رزقه الله بصيرة في الحق ونورا يميز به بين الهدى والضلال
وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل ورزق مع ذلك اطلاعا على اسباب الخطأ وتفرق
الطرق ومثار الغلط وكان له بصيرة في الحق والباطل وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم وكان بعد هذه المعرفة والتعبد
لهو معرفة احاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته وان العوالم كلها في قبضته
وان السموات السبع والارضين السبع في يده كخردلة في يد العبد قال تعالى
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقال والله من ورائهم محيط وله القرآن

سبحانه بين الاسمين الدالين على هذين المعنيين اسم العلو الدال على انه
الظاهر وانه لا شيء فوقه واسم العظمة الدال على الاحاطة وانه لا شيء دونه
كما قال تعالى وهو العلي العظيم وقال وهو العلي الكبير وقال رب المشرق والمغرب
فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وهو تبارك وتعالى كما انه العالي على
خلقه بذاته فليس فوقه شيء فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء
بل ظهر على كل شيء فكان فوقه وبطن فكان اقرب الى كل شيء من نفسه
وهو محيط به حيث لا يحيط شيء بنفسه وكل شيء في قبضته وليس شيء
في قبضة نفسه فهذا القرب الاحاطة العامة واما القرب المذكور في الكتاب
والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه وهو ثمرة التعبد
باسمه الباطن قال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فهذا قربه من داعيه وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
فذكر الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة دلالة مؤنثة اذ انا نقربه تعالى من
المحسنين فكانه قال ان الله رحمته قريب من المحسنين وفي الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد واقرب ما يكون الرب من
عبده في جوف الليل فهذا قرب خاص غير قرب الاحاطة وقرب السجود وفي
الصحيح من حديث ابي موسى انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فارتفعت اصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون
اصم ولا غائبا ان الذي تدعونه سميع قريب اقرب الى احدكم من عنق راحلته
فهذا قربه من داعيه وذاكره يعني فاي حاجة بكم الى رفع الاصوات
وهو لقربه يسمعها وان خفضت كما يسمعها اذا رفعت فانه سميع قريب
وهذا القرب لا يوصف لوازم المحبة فكلما كان الحب اعظم كان القرب اكمل وقد
تستولي محبة المحبوب على قلب محبه بحيث تفنيه عما عن غيرها ويغلب محبوبه
على قلبه حتى كانه يراه ويشاهده فاذا لم يكن عنده معرفة صحيحة بالله
والطريق باب الحلول او لم يلجه وسببه ضعف تمييزه وقوة سلطان
المحبة واستيلاء المحبوب على قلبه بحيث يغيب عن ملاحظة ما سواه
وفي مثل هذه الحال يقول سبحاني او ما في الجبة الا الله ونحو هذا من
الشطحات التي نهايتها ان يغفر له ويعذر لسكره وعدم تمييزه

في ذلك

في تلك الحال فالتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد
وان يكون الله اقرب اليه من كل شيء واقرب اليه من نفسه مع كونه ظاهرا
ليس فوقه شيء ومن كثف ذهنه وغلظ طبعه عن فهم هذا المعنى
فليضرب عنه صفحا الى ما هو اولى به فقد قيل

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

فمن لم يكن له ذوق من قرب المحبة ومعرفة لقرب المحبوب من محبه
غاية القرب وان كان بينهما غاية للمسافة ولا سيما اذا كانت المحبة من الطرفين
وهي محبة سرمدية من العلل والشوائب والاعراض القادحة فيها فان المحب
كثيرا ما يستولي محبوبه على قلبه وذكره ويغنى عن غيره ويرق قلبه
وتتجرد نفسه فيشاهد محبوبه كالحاضر معه القريب اليه وبينهما من
البعد ما بينهما وفي هذه الحال يكون في قلبه وجوده العلمي وفي لسانه وجوده
اللفظي فيستولي لهذا الشهود عليه ويغيب به فيظن ان في عينه وجوده
الخارجي لغلبة حكم القلب والروح كما قيل

ضيائك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب

لهذا ويكون ذلك المحبوب بينه وبين عدوه وما بينهما من البعد والاغتراب
الابدان وتلاصقت الديار والمقصود ان المثال العلمي غير الحقيقة الخارجية
وان كان مطابقا لها فالمثال العلمي محله القلب والحقيقة الخارجية محلها
الخارج فمعرفة هذه الاسماء الاربعة وهي الاول والاخر والظاهر والباطن
هي ارکان العلم والمعرفة فحقيق بالعبد ان يبلغ في معرفتها الى حيث ينتهي
به قواه وفهمه واعلم ان لك انت اولا واخرا وظاهرا وباطنا فكل شيء
فله اول واخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة والنفس وادنى من
ذلك وأكثر فاولية الله عز وجل سابقة على اولية كل ما سواه واخريته
ثابتة بعد اخرية ما سواه فاولية سبقه لكل شيء واخريته بقاؤه
بعد كل شيء وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ومعنى
الظهور يقتضي العلو وظاهر كل شيء هو ما علا منه واحاط بباطنه
وبطونه سبحانه احاطته بكل شيء بحيث يكون اقرب اليه من نفسه
وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه لهذا الوجه ولهذا الوجه فجاء لهذه
الاسماء الاربعة على الاحاطة ولفي احاطتان زمانية ومكانية

فاحاطة اوليته واخريته بالقبل والبعد فكل سابق انتهى الى اوليته وكل اخر انتهى
الى اخريته فاحاطة اوليته واخريته بالاوائل والاواخر واحاطة ظاهريته وباطنيته
بكل ظاهر وباطن فما من ظاهر الا والله فوقه وما من باطن الا والله دونه وما من اول الا
والله قبله وما من اخر الا والله بعده فالاول قديمه والاخر دوامه وبقاؤه والظاهر
علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شيء باوليته وبقي بعد كل اخر
باخريته وعلا على كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه فلا توارى
منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا يحجب عنه ظاهر باطنا بل الباطن له ظاهر
والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب والسر عنده علانية فهذه الاسماء
الاربعة تشتمل على اركان التوحيد فهو الاول في اخريته والاخر في اوليته والظاهر
في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل اولا واخرا ظاهرا وباطنا هذا اخر كلام المصنف
رحمه الله وهو في غاية النفاسة في هذا الموضع وكرر العبارات المتنوعة لاجل ان يفهم
المعنى فهما صحيحا تاما لان هذا الموضع من اهم المواضع واعظمها حاجة

وهو العلي فكل انواع العلو ثابتة له بلا نكران

يعني ان الله تعالى هو العلي الذي له جميع انواع العلو ثابتة شرعا وعقلا
بلا انكار ولا تعطيل لشيء منها فله علو الذات لانه فوق المخلوقات فوق
العرش العظيم قد بان العالم العلوي والسفلي وله علو القدر وهو علو
صفاته وعظمتها بحيث كانت صفاته عالية عظيمة لا يماثلها ولا يقاربها
صفة شيء من المخلوقات بل لا يقدر الخلق كلهم ان يحيطوا علما ببعض صفاته
قال تعالى ولا يحيطون به علما وله علو القهر فعلى على جميع المخلوقات وقهرها
فكلها تحت قبضته ونواصيها بيده كل لا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن
الا باذنه ولو جمعوا على ايجاد فعل او حركة لم يردها الله لم يقدروا على ذلك
وذلك لكمال اقتداره وعظمته وشدة افتقار المخلوقات اليه من كل وجه

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لا يحصيه من انسان

يريد ان الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم بحيث لا يقدر
انسان ولا مخلوق ان يحصي ثناء على الله بعظمته ومعاني التعظيم نوعان
احدهما ان الله تعالى موصوف بكل صفة كمال وله من ذلك الكمال الذي وصف به اكمله
واعظمه واجله فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة حتى ان
من عظمته ان السموات والارض في كف الرحمن كالخردلة في يد المخلوق كما قال
ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره

والارض

والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقال تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد انه كان حليما غفورا وقال تعالى
وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني شيئا منهما عذبته وقال النبي صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما
وحليهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وحليهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان
ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فلله تعالى الكبرياء والعظمة من الوصفاء
اللذان لا يقادر قدرهما ولا يبلغ كنههما النوع الثاني من معاني عظمته تعالى انه لا يستحق
احد التعظيم من الخلق عزة تعالى فيستحق على العباد ان يعظموه بقلوبهم والسنتهم
واعمالهم وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له والخوف منه واعمال اللسان بالثناء
عليه وقيام الجوارح بشكره وعبوديته ومن تعظيمه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى
ويشكر فلا يكفر ومن تعظيمه وجلاله ان لا يعترض على شيء مما خلقه او شرعه بل
يخضع لحكمته وينقاد لحكمه

ومن الجليل فكل اوصاف الجلال له محققة بل هي صفات
ومن الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الاكوان
ما بعض اثار الجميل فربها اولى واحد ارعند ذي العرفان
فجماله بالذات والاوصاف والـ افعال والاسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن اكذبي بهتان

يعني ان الله تعالى هو الجليل الذي له جميع اوصاف الجلال وهي اوصاف العظمة والكبرياء
ثابتة له محققة لا يفوته منها وصف جلال وكمال وكذلك هو الجميل بالذات والاوصاف
والافعال والاسماء فان ذاته تعالى لها من الجمال ما لا يمكن لمخلوق ان يعبر عن بعض جماله
حتى ان اهل الجنة معهم فيها من النعيم الذي لا يوصف واللذات التي لا يقادر قدرها
والافراح والسرور اذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من كل نعيم وتلاشى
ما هم فيه من الافراح ووددوا ان لو تدوم لهم هذه الحال وانتسوا من جماله جمالا الى
جمالهم وكانت قلوبهم دائما في شوق وتزدوع الى رؤية ربهم حتى انهم يفرحون بيوم
المزيد فرحا لا تكاد تطيره القلوب وكذلك هو الجميل في اسمائه لان اسماءه كلها حسنى
بل هي احسن الاسماء على الاطلاق واجلها قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
وقال لم نعلم له سميا ولهذا الاسم يحتمل المدح وغيره بل الاسم الا لاسماء الدالة
على غاية المدح والجمال وكذلك هو الجميل في اوصافه فان اوصافه كلها اوصاف كمال

ونعوت ثناء وحمد فهي اوسع الصفات واعمها واكثرها تعلقا خصوصا وصاو
الرحمة والبر والاحسان والجود والكرم وكذلك افعاله تعالى كلها جميلة فانها دائرة
بين افعال البر والاحسان التي يحمد عليها ويشكر ويثنى عليه بها وبين افعال العدل التي يحمد
عليها لما فيها من الحكمة والحمد فليس في افعاله عبث ولا سفه ولا ظلم فلله كلها هدى
ورحمة وعدل ورشد ان ربي على صراط مستقيم وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ثم استدل المصنف رحمه الله بدليل عقلي على جمال
الباري فقال كيف لا اي كيف لا يكون جميلا والحال ان جمال جميع الاكوان من بعض اثار
الجميل فربها الذي اعطاها الجمال احق واحد منها بالجمال فكل جمال في الدنيا والاخرة
باطني وظاهري مما تتهلل له العقول وتحار له الافئدة خصوصا ما يعطي الله اهل
الجنة في الجنة من الجمال لهم ولنسائهم اللاتي لو بدا كف واحدة منهن الى الدنيا
لطمس نورها نور الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم البيد الذي كساهم ذلك الجمال
ومن عليهم بذلك الكمال احق منهم به فهذا دليل عقلي واضح مسلم المقدمات
على هذه المسئلة العظيمة قال تعالى وله المثل الاعلى اي كل ما وجد في المخلوقات
من كمال لا يستلزم نقصا فانه معطيه احق به من المعطى بالنسبة
بينه وبينهم الا نسبة ذواتهم الى ذاته وصفاتهم الى صفاته فالذي اعطاهم
السمع والبصر والعلم والقدرة والجمال والكمال احق منهم بذلك وكيف يعبر
احد عن جماله وقد قال اعلم الخلق به لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال صلى الله عليه وسلم لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
ولهذا قال المؤلف لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه اي تنزه وتقدس
عن افك ذي بهتان اي كذب المفترين الذين لم يقدروا الله حق قدره والاعظموه
حق عظمته حين عطلوا اوصافه التي نطقت بها الكتب وصرحت بها الرسل
وحسبهم خسارا ومقتا ان حرموا من الوصول الى معرفته والابتهاج بمحبته
وجمع المؤلف بين الجليل والجميل لان تمام التعبد لله هو التعبد له بهذين
الاسمين الكريمين فالتعبد بالجليل يقتضي تعظيمه وخوفه ومهابته واجلاله
والتعبد باسمه الجميل يقتضي محبته والتأله له وان يبذل له خالص المحبة وصفو
الوداد بحيث تسبح القلوب في رياض معرفته وميادين جماله
وتبتهج بما يحصل لها من اثار جماله وكماله فان الله ذو الجلال والاكرام

وهو المجيد صفاته وصافات عظيم فشان الوصف اعظم شان
يعني ان معنى اسمه المجيد انه عظيم الصفات واسعها ذكر وصف من
اوصافه فشانه عظيم فهذا العليم الكامل في علمه الحكيم الذي وسعت رحمته
كل شيء القدير الذي لا يعجزه شيء الحليم الكامل في حلمه قال المصنف في بدائع الفوائد
فالمجيد مما اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فانه موضوع
للسعة والكثرة والزيادة فمنه استمجد المرخ والعفار واسجد الناقة علفا ومنه زيد
العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا
بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم (يعني في قوله اللهم صل على محمد
وبارك على محمد انك حميد مجيد) لانه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء
وكثرة الجود ومرفاتي في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول اغفر لي وارحمني انك انت
الغفور الرحيم والهمني انك انت السميع البصير فهو راجع الى التوسل اليه باسمائه وصفاته
وهو من اقرب الوسائل واحبها اليه ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي الظوا بيا
ذا الجلال والاكرام ومنه اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاكرام فهذا سؤال له وتوسل اليه بحمده وانه لا اله الا هو المنان
فهو توسل اليه باسمائه وصفاته وما احق ذلك بالاجابة واعظم موقعا عند المسئول

ولهذا باب عظيم من ابواب التوحيد اشرنا اليه اشارة وقد فتح لمن بصره الله انتهى كلامه

ولله السمع يرى ويسمع كائنا ... في الكون من سر ومن اعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر ... قال والاعلان مستويان
والسمع منه واسع الاصوات لا ... يخفى عليه بعيد نأي او دان
ولله البصير يرى دبيب النملة السـ ... ـوداء تحت الصخر والصوان
ويرى بمجاري الفلك في اعضائها ... ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ... ويرى كذاك تقلب الاجفان

هذه الابيات في شرح هذين الاسمين الكريمين السميع البصير وكثيرا ما يقرن الله بينهما
كقوله وكان الله سميعا بصيرا فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته
الظاهرة والباطنة فالسميع هو الذي احاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم
العلوي والسفلي من الاصوات يسمعها سرها وعلانيتها حتى كانها لديه صوت
واحد لا تختلط عليه الاصوات ولا تغلطه اللغات والقريب منها والبعيد وكل
والعلانية كلها عنده سواء قال تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وساربٌ بالنهار وقال تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله

بصير صح

والله سميع تحاور كما ان الله سميع عليم قالت عائشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه الاصوات
لقد جاءت المجادلة تشتكي لرسول الله صلى الله عليه وانا في جانب الحجرة وانه ليخفى
على بعض كلامها فانزل الله وقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية وسمعه
تعالى نوعان احدهما سمع عام لجميع الاصوات الظاهرة والخفية واحاطته بها احاطة
تامة والثاني سمع الاجابة منه للسائلين والعابدين والمتضرعين فيجيبهم
ويثيبهم ومنه قول العبد في صلاته سمع الله لمن حمده اي استجاب الله لمن حمده
واثنى عليه وعبده ومنه قول ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء ثم قال المصم وهو البصير الذي
احاط بصره بجميع المبصرات في اقطار الارض والسموات حتى اخفى ما يكون منها
فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى جميع
اعضائها الظاهرة والباطنة حتى انه يرى سريان العروق في اعضائها الصغار جدا
ويرى سريان المياه في الاشجار واغصانها وعروقها وجميع النباتات ويرى
نياط عروق النملة والبعوضة واصغر من ذلك وتبارك من تبهر العقول
عند التأمل لبعض صفاته المقدسة وتشهد البصائر كماله وعظمته ولطفه
وخبرته بالغيب والشهادة والحاضر والغائب والخفي والجلي ويرى تعالى
خيانات العيون بلحظها اي حين يلحظ العبد منظرا يخفيه على جليسه فالله تعالى
يراه في تلك الحالة التي يحرص على اخفاء ملاحظته عن كل احد ويرى تقلب الاجفان
حين يقلبها الناظر من ادمي وملك وجني وحيوان وحين يطبقها ويفتحها
قال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقال تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وقال تعالى والله على كل شيء شهيد اي مطلع
ومحيط علمه بجميع المعلومات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المرئيات
ما نبصره وما لا نبصره

وهو العليم احاط علما بالذي ... في الكون من سر ومن اعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما ... قد كان والموجود في ذا الان
وكذاك مريم لو كان ليس ... يكون ذا الا كان
هذا تفسير للعليم باحسن تفسير واجمعه فهو تعالى العليم الذي له العلم
العام

العام للواجبات والممتنعات والممكنات فيعلم نفسه الكريمة
وصفاته المقدسة ونعوته العظيمة وهي الواجبات التي لا يمكن الا وجودها
ويعلم الممتنعات حال امتناعها ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت
كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فهذا
ونحوه من ذكره للممتنعات التي يعلمها واخباره بها ليثنا عنى فلو وجدت على وجه
الفرض والتقدير ويعلم تعالى الممكنات وهي التي يجوز وجودها وعدمها فما وجد
منها وعلم انه يوجد مما لم تقتض الحكمة ايجاده فهذا العليم الذي احاط علمه بالعالم
العلوي والسفلي بحيث لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة
والظواهر والبواطن والجلي والخفي قال تعالى ان الله بكل شيء عليم وقال تعالى
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين وقال تعالى عالم الغيب والشهادة وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس
باي ارض تموت ان الله عليم خبير وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا
هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال تعالى يعلم السر واخفى وقال تعالى
والله عليم بذات الصدور وقال تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا
حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
وقال تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقال تعالى عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين وقال تعالى اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الى غير ذلك من النصوص الدالة على شمول علم الله
لكل شيء وانه لا يخفى عليه ظاهر ولا باطن ولا بعيد ولا قريب ولا غفل عنه ولا ينساه
ولا يعرض لعلمه ما يعرض لعلم غيره فان علم المخلوق يعرض له عدم الاحاطة
ويعرض له النسيان لما علمه والله تعالى كما قال المصنف فهو المحيط وليس
ذا نسيان كما قال تعالى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وقال الخضر الذي قد علمه الله من لدنه علما كثيرا وخصه من علم الباطن بما ليس
لموسى ولا لغيره فموسى كليم الرحمن اعلم الخلق على الاطلاق بعد محمد وابراهيم عليهم السلام
لما لقي الخضر ليتعلم منه مر على البحر فنقر عصفور من البحر بمنقاره فقال الخضر لموسى
ما نقص علمي وعلمك وعلم سائر الخلق من علم الله الا كما نقص هذا العصفور

لا في صح

من لهذا البحر وما ذكر المصنف رحمه الله احاطة علم الله بجميع الاكوان ذكر احاطته
بجميع الازمان الحاضرة والماضية والمستقبلة فقال ويعزب العليم بما لكي يا عند
اي المستقبلات وما قد كان اي مضى من جميع الامور الماضيات والموجودة
ذا الآن اي الحاضرات كلها دقيقها وجليلها قد احاط الله بها علما وما خلق الله
القلم قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال له اكتب قال ما اكتب
قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ولهذا يجمع
الله الكبير ان علمه المحيط وكتابته المحيطة بالاشياء كما قال تعالى الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقال تعالى يعلم
ما بين ايديهم اي من الامور الماضية وما خلفهم اي من الامور المستقبلة ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وقال فلا يضل ربي ولا ينسى فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وحين تستكمل خلقة الادمي يرسل الله اليه الملك
ويأمره باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد فما اصاب
العبد لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف
واذا مات الخلق وتفرقوا في جهات الارض وفلوات القفار ولجج البحار وبطون
الطيور والسباع وصاروا رفاتا واضمحلت اوصالهم وتلاشت اعضاؤهم
فعلم الله محيط بهم قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ
فاذا نفخ في الصور ارسل الله كل روح الى جسدها الذي كانت تعمره ثم يوقفهم
على كل ما عملوا ما صغير وكبير احصاه الله ونسوه فيعلم مقادير اعمالهم ومقادير
ثوابها وعقابها ثم اذا استقر اهل الجنة بالجنة واهل النار بالنار وجرت عليهم
احكام الجزاء فعلم الله محيط بتفاصيل احوالهم وما هم فيه من النعيم والعذاب
فتبارك الله رب العالمين ما اعظمه واجله وما اوسع صفاته واكملها واجلها
وقول المؤلف وكذلك علم لكي لو كان كيف يكون اذا كان اي وكذلك يعلم
تعالى الامور التي لم تكن ولا تكون من الممكنات التي لم يوجدها الباري ولو اوجدها
يعلم لو وقعت كيف تكون وكيف يكون شأنها مثل قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه فردهم لا يكون ولو كان على الفرض والتقدير لعادوا لما نهوا عنه فاخلاقهم عنه صح
التي اكتسبوا فيها الشر معهم وقد علم الله عز وجل ليذكرن فيه ما تذكر وجاءهم النذير
ضنوا لهم لهذا الامر محال ولهم كذبة ايضا في هذا القول لكي تصدقهم الا في العذاب
الذي حتم عليهم فقالوا ما قالوا ومثل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
ونحو ذلك من الايات التي فيها الاخبار عما لم يكن انه لو كان لكان كذا وكذا

فصل

ولهو الحميد فكل حمد واقع ... وكان مفروضا مدى الازمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عدد ولا حسبان
لهو الاله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذي الاحسان

عقد المصنف رحمه الله لهذا الاسم المبارك لهذا الفصل على حدته لشدة الاعتناء
به وسعته وعظمته فذكر انه الحميد من وجهين احدهما من جهة حمد
المخلوقات له وذلك انه كل حمد وقع من اهل السموات والارض الاولين
والاخرين وكل حمد يقع منهم في الدنيا وفي الاخرة وكل حمد لم يقع
من الخلق بل كان مفروضا ومقدرا حيثما تسلسلت الازمان وتوالت
الاوقات حمدا يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي ويملأ نظير الوجود
من غير عدد ولا حسبان فالله سبحانه اهله ومستحقه من وجوه كثيرة
منها ان الله هو الذي خلقهم ورزقهم واسدى عليهم من النعم الظاهرة
والباطنة الدينية والدنيوية وصرف عنهم من النقم والمكاره فما بالعباد من
نعمة الا منه ولا يدفع المكروهات الا هو فيستحقه منهم ان يحمدوه في جميع
الاوقات ويثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات والوجه الثاني من جهة
ان المحامد والمدائح والنعوت الجليلة الجميلة اوصافه تعالى فله كل صفة
كمال وله من تلك الصفة اكملها واعظمها فكل صفة من صفاته يستحق
عليها اكمل الحمد والثناء فكمال في جميع الاوصاف المقدسة فله تعالى الحمد
لذاته وله الحمد لصفاته لانها كلها مدائح وكمالات وله الحمد لافعاله لانها
دائرة بين الفضل والاحسان وبين العدل والحكمة قال المصنف رحمه الله تعالى
في كتابه سفر الهجرتين وباب السعادتين لما ذكر الحكمة والقدرة

فصل

ويجمع لهذين الاصلين العظيمين اصلا ثالثا لهو عقد نظامهما وجامع شملهما
وبتحقيقه واثباته على وجهه يتم بناء لهذين الاصلين ولهو اثبات الحمد كله

لله رب العالمين فانه المحمود على ما خلقه وامر به ونهى عنه فهو المحمود على طاعات
العباد ومعاصيهم وايمانهم وكفرهم وهو المحمود على خلق الابرار والفجار والملائكة
والشياطين وعلى خلق الرسل واعدائهم وهو المحمود على عدله في اعدائه كما هو المحمود على فضله
وانعامه فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده ولهذا يسبح بحمده السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وكان في قول النبي صلى الله عليه وسلم عند
الاعتدال من الركوع ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد
فله سبحانه الحمد حمدا يملأ المخلوقات والفضاء الذي بين السماء والارض ويملأ ما يقدر
بعد ذلك مما يشاء الله ان يملأ بحمده وذكر يحتمل امرين احدهما ان يملأ ما يخلقه الله بعد
السموات والارض والمعنى ان الحمد ملء ما خلقته وملء ما تخلقه بعد ذلك الثاني ان يكون
المعنى ملء ما شئت من شيء بعد يملؤه حمدك اي يقدر مملوء بحمدك وان لم يكن موجودا
ولكن يقال المعنى الاول اولى لان قوله ما شئت من شيء بعد يقتضي انه شيء يشاؤه
وما يشاء كان والمشيئة متعلقة بعينه لا بمجرد ملء الحمد له فتامله لكنه اذا اشاء كونه
فله الحمد ملؤه فالمشيئة راجعة الى المملوء بالحمد فلا بد ان يكون شيئا موجودا
يملؤه حمده واضافة قوله ما شئت بعد يقتضي انه شيء يشاؤه سبحانه بعد هذه
المخلوقات كما يخلقه بعد ذلك من مخلوقاته من القيامة وما بعدها ولو اريد
تقدير خلقه لقيل وملء ما شئت من شيء مع ذلك لان المقدر يكون مع المحقق
واضافة انه لم يقل وملء ما شئت ان يملأه الحمد ثم قال ما شئت والعبد قد حمد حمدا
اخبر به واشاءه ووصفه بانه يملأ ما خلقه الرب سبحانه وما يشاء بعد ذلك
واضافة فقوله وملء ما شئت من شيء بعد يقتضي اثبات مشيئة تتعلق بشيء
بعد ذلك وعلى الوجه الثاني قد تتعلق المشيئة بعمل المقدر واضافة اذا قيل ما
شئت من شيء بعد ذلك كان الحمد مالئا لما هو موجود يشاؤه الرب دائما
ولا ريب ان لله الحمد دائما في الدنيا والاخرة واما اذا قدر ما يملؤه الحمد وهو غير موجود
فالمقدرات لا حد لها وما من شيء منها الا يمكن تقدير شيء بعده وتقدير
ما لا نهاية له لتقدير الاعداد ولو اريد بهذا المعنى لم يحتج الى تعليقه بالمشيئة
بل قيل ملء ما لا يتناهى فاما ما يشاؤه الرب فلا يكون الا موجودا مقدرا
وان كان لآخر لنوع الحوادث او بقاء ما يبقى منها فهذا كله مما يشاؤه بعد
واضافة الحمد بعد الاخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة لمحاسن المحمود لها
وما قائمة به وان ظهرت بمخلوقاته فاما المعدوم المحض الذي
لم يخلق ولم يخلق قط فذاك ليس فيه محاسن ولا غير بها فلا يحامد فيه

البتة

البتة فالحمد لله الذي يملأ المخلوقات ما وجد منها ويوجد هو حمد يتضمن الثناء عليه
بكماله القائم بذاته والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته وأما ما لا وجود له فلا محامد فيه
ولا مذام فجعل الحمد ما تناله جعله مالئا لما له حقيقة له وقد اختلف الناس في
معنى كون حمده يملأ السموات والأرض وما بينهما فقالت طائفة على جهة التمثيل
أي لو كان أجساما لملأ السموات والأرض وما بينهما قالوا فان الحمد من قبيل المعاني
والأعراض التي لا تملأ بها الأجسام وإنما تملأ الأجسام والصواب انه لا يحتاج
الى هذا التكلف البارد فان ملء كل شيء بحسب المالئ والمملوء فاذا قيل امتلأ
الاناء ماء وامتلأت الجفنة طعاما فهذا الامتلاء نوع واذا قيل امتلأت الدار رجالا
وامتلأت المدينة خيلا ورجالا فهذا نوع اخر واذا قيل امتلأ الكتاب سطورا فهذا نوع
اخر واذا قيل امتلأت مسامع الناس حمدا وذما لفلان فهذا نوع اخر كما في اثر معروف
اهل الجنة مدا امتلأت مسامعهم من ثناء الناس عليه واهل النار مما امتلأت مسامعهم
من ذم الناس له وقال عمر بن الخطاب في عبد الله بن مسعود لقد ملئ علما ويقال فلان
علمه قد ملأ الدنيا وكان يقال ملأ ابن أبي الدنيا علما ويقال جيت فلان قد ملأ
الدنيا وضيق الآفاق وبغضه قد ملأ القلوب وبغض فلان قد ملأ القلوب وامتلأ
قلبه رعبا ولهذا أكثر ما يستعمل في الشر وهذه وهو حقيقة في بابه وجعل الملء والامتلاء
حقيقة للأجسام خاصة تحكم باطل ودعوى لا دليل عليها البتة والأصل الحقيقة للواحد
والاشتراك المعنوي هو الغالب على اللغة والافهام والاستعمال فالمصير اليه اولى من
المجاز والاشتراك وليس هذا موضع تقرير المسألة والمقصود ان الرب اسماءه كلها
حسنى ليس فيها اسم سوء واوصافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص وافعاله
كلها حكمة ليس فيها فعل خال عن الحكمة والمصلحة وله المثل الأعلى في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم موصوف بصفة الكمال منعوت بنعوت الجلال منزه عن الشبيه
والمثال ومنزه عما يضاد صفات كماله منزه عن الموت المضاد للحياة وعن السنة
والنوم والسهو والغفلة المضاد للقيومية وموصوف بالعلم منزه عن اضداده
كلها من النسيان والذهول وعزوب شيء عن علمه موصوف بالقدرة التامة منزه
عن ضدها من العجز واللغوب والاعياء موصوف بالعدل منزه عن الظلم موصوف
بالحكمة منزه عن العبث موصوف بالسمع والبصر منزه عن اضدادهما من الصمم
والبكم موصوف بالعلو والفوقية منزه عن اضداد ذلك موصوف بالغنى التام
منزه عما يضاده بوجه ما والوصوف ومستحق للحمد كله فيستحيل ان يكون غير محمود
كما يستحيل ان يكون غير قادر ولا خالق ولا حي وله الحمد كله واجب لذاته
فلا يكون الا محمودا كما لا يكون الا الها وربا وقادرا فاذا قيل الحمد كله لله

فهذا له معنيان احدهما انه محمود على كل شيء وبكل ما يحمد به المحمود التام
وان كان بعض خلقه يحمد اذا كما يحمد انبياؤه ورسله واتباعهم فذلك من حمده
تبارك وتعالى بل هو المحمود بالقصد الاول وبالذات وما فالوه من الحمد فانما فالوه بحمده
فهو المحمود اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وهذا كما انه بكل شيء عليم وقد علم عزة من
علمه ما لم يكن يعلمه بد ومن تعليمه وفي الدعاء المأثور اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله
وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله اسألك من الخير كله واعوذ بك من الشر كله
وهو سبحانه له الملك وقد آتى من المملكة بعض خلقه وله الحمد وقد آتى من الحمد ما شاء
وكما ان ملك المخلوق داخل في ملكه فحمده ايضا داخل في حمده فما من محمود يحمد على
شيء محمود قط او جل الا والله المحمود عليه بالذات والاولية ايضا واذا قال اللهم
لك الحمد فالمراد به انت المستحق لكل حمد ليس المراد به الحمد الخارجي فقط
المعنى الثاني ان يقال لك الحمد كله اي الحمد التام الكامل فهذا مختص بالله ليس
لغيره فيه شركة والتحقيق ان له الحمد بالمعنيين جميعا فله عدم الحمد وكماله
ولهذا من فضائله سبحانه فهو المحمود على كل حال وعلى كل شيء الحمد واعظمه
كما ان له الملك التام العام فلا يملك كل شيء الا هو وليس الملك التام العام الا له
واتباع الرسل يثبتون له كمال الملك وكمال الحمد فانهم يقولون انه خالق كل شيء
وربه ومليكه لا يخرج عن خلقه وقدرته ومشيئته شيء البتة فله الملك كله
الى ان قال فصل والمقصود بيان تعدد حمده سبحانه وحكمته لكل ما يحدثه
من احسان ونعمة وامتحان وبلية وما يقتضيه من طاعة ومعصية والله
تعالى محمود على ذلك مشكور حمد المدح وحمد الشكر اما حمد المدح فالله محمود
على كل ما خلق اذ هو رب العالمين والحمد لله رب العالمين واما حمد الشكر
فلان ذلك كله نعمة في حق المؤمن اذا اقترن بواجبه والاحسان والنعمة
اذا اقترنت بالشكر صارت نعمة والامتحان والبلية اذا اقترنا بالصبر
كان نعمة والطاعة من اجل نعمه واما المعصية فاذا اقترنت بواجبها من
التوبة والاستغفار والانابة والذل والخضوع فقد ترتب عليها من
الآثار المحمودة والغايات المطلوبة ما هو نعمة ايضا وان كان سببها
مسخوطا مبغوضا للرب سبحانه ولكنه يحب ما يترتب عليه من
التوبة والاستغفار الى ان قال والمقصود ان الملك والحمد في حقه
متلازمان فكما تشمله ملكه وقدرته تشمله حمده فهو محمود في
ملكه

١٥

ملكه وله الملك والقدرة مع حمده فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن
ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند
خلقه وامره لينبه عباده على ان مصدر خلقه وامره عن حمده فهو يحمد على
ما خلقه وامر به حمد شكر وعبودية وحمد ثناء ومدح ويجمعها التبارك فتبارك الله
يشمل ذكره وله ذكر هذه الكلمة عقيب قوله الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
فالحمد اوسع الصفات واعم المدائح والطرق الى العلم به في غاية الكثرة والسبيل الى الاشارة
في ذرات العالم وجزئياته وتفاصيل الامر والنهي واسعة جدا فاجمع اسمائه تبارك
وتعالى حمد وصفاته حمد وافعاله حمد واحكامه حمد وعدله حمد وانتقامه من اعدائه حمد
وفضله في احسانه الى اوليائه حمد والخلق والامر انما قام بالحمد ووجد بالحمد وظهر
بالحمد وكان الغاية هي الحمد فالحمد سبب ذكره وغايته ومظهره وحامله فالحمد روح كل
شيء وقيام كل شيء بالحمد وسريان الحمد في الموجودات وظهور اثاره فيه امر
مشهود بالابصار والبصائر ثم ذكر الطرق الدالة على سريان الحمد وشموله بتقدير اسمائه
وصفاته وافعاله ونعمه واطال في ذكر جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكليم الخطاب وقبله الرحمن

كلماته جلت عن الاحصاء والتعداد بل عن حصر في الحسبان

لو ان اشجار البلاد جميعها اقلام تكتبها بكل لسان

والبحر تلقى فيه سبعة ابحر لكتابة الكلمات كل زمان

نفدت ولم تنفد بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان

يعني انه تبارك وتعالى متكلم اذا شاء وكيف شاء ولم يزل ولا يزال الصفة
الكلام موصوفا وبالبر والاحسان معروفا وهو الذي تكلم بالكلام القديم
الذي يوجد به الاشياء كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون وتكلم بكلامه الشرعي الديني الذي منه الكتب التي انزلها الله على رسله
فهو الذي تكلم بها حقا ونزل بها جبريل من عنده حقا فليست بمخلوقة
بل هي من جملة صفاته تعالى وتكليمه لعباده نوعان نوع بلا واسطة
كما كلم موسى بن عمران قال تعالى وكلم الله موسى تكليما وكما كلم الابوين ادم
وحواء فنادهما بهما الم انهكما عن تلكما الشجرة وكما نادى محمدا صلى الله عليه
وسلم وخاطبه حين اسرى به وكما يخاطب الله اهل الموقف واهل الجنة في الجنة

من يريده ويكلمونه وينوع الثاني تكليمه لعباده بواسطة
اما بالوحي الخاص للانبياء واما بارساله اليهم رسولا يكلمهم ما اوحاه اليه
وقد ذكر الله لهذه الانواع في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء واعلم ان صفة الكلام لله تعالى من
صفاته الذاتية من حيث تعلقها بذاته واضافته بها ومن صفاته الفعلية حيث
كانت متعلقة بقدرته ومشيئته فاذا كان معلوما ان الله لم يزل ولا يزال
كامل القدرة فاذ المشيئة علم انه لم يزل ولا يزال متكلما اذا شاء ولان الكلام من
اجل صفات الكمال التي يستحيل على الله ان لا يوصف بها وكلماته تعالى غير متناهية
فلا تفنى ولا تبيد فلو ان اشجار الارض جميعها من عرعرها وقفارها وبحارها
اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مداد فكتب بتلك الاقلام بذلك المداد لتكسرت
الاقلام ونفد المداد وكلام الله لا يفنى ولا ينفد وذلك المخلوق متناه له غاية وحد
وصفات الله ليس لها غاية ولا حد قال تعالى وان الى ربك المنتهى وقال تعالى ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات
الله ان الله عزيز حكيم وهذا كله من باب تقريب المعنى العظيم الواسع الذي
لا تدركه الاذهان اليها بهذا المثال الذي يبهر العقول ولهذا قال الموفق ليس
الكلام من الاله بفان ولم يقدر الله حق قدره من زعم ان كلامه مخلوق
من جملة المخلوقات التي تنتهي وكيف تكون الوصف المضاف الى الله تعالى مخلوقا
بل يلزم منه ان تكون كلاما للمخلوق فاذا كان علم الله وقدرته ونحو ذلك من اوصافه
يستحيل ان تقوم بغير الله وان تكون مخلوقة فكلامه كذلك

ويعوز القدير فليس يعجزه اذا ما رام شيئا قط ذو سلطان
ويعوز القوي له القوى جمعا تعالى رب ذي الاكوان

يعني انه تعالى القدير كامل القدرة فكلما اراده فعله ما غير عجز
ولا معارض له ولا مضاد فاذا اراد ايجاد شيء او اعدامه فلو اجتمعت
الخليقة كلها على معارضته في شيء من ذلك لم يكن لهم قدرة على معارضته
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس
انه قال لابن عباس واعلم ان الخلق لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء
ان قليل او كثير لم ينفعوك الا بشيء قدره الله لك ولو اجتمعوا على ان
يضروك لم يضروك الا بشيء قدره الله عليك وقال تعالى ما من دابة
بشيء

الا هو

هو اخذ بناصيتها وهو القوي الذي له القوة كلها قال تعالى ان الله هو
الرزاق ذو القوة المتين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما الخلق ١٦
من قوة ظاهرة او باطنة الا من الله تعالى قال تعالى ان الله على كل شيء قدير
وقال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى فاما عاد
فاستكبروا في الارض وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو بغير الحاح
اشد منهم قوة فمن قوته وقدرته انه خلق السموات العظيمة والارض وما
بينهما في ستة ايام وانه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم بعد ما يفرقهم الملي
بل خلقهم وبعثهم عليه كنفس واحدة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وهو
الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقال تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس ومن قدرته انه يحيي الارض الهامدة اليابسة بعد موتها
قال تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ومن اثار قدرته فاعله بالامم
المكذبين من انواع العقوبات وحلول المثلات وانهم لم يغن عنهم كيدهم ولا مكرهم
ولا اموالهم واولادهم وجنودهم وحصونهم من عذاب الله شيئا قال تعالى ام يأتكم نبأ
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات
اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقال تعالى في
سورة الشعراء بعد كل قصة يذكر فيها نجاة الرسل واتباعهم وهلاك معاندهم ان
في ذلك لاية اي على كمال رحمته التي منها انجاء المؤمنين وعلى كمال عزته وقدرته حيث
اراد المكذبين ولهذا قال وان ربك لهو العزيز الرحيم ومن تمام قدرته وشمولها
انه كما انه هو الخالق للعباد فهو خالق عملهم وطاعاتهم ومعاصيهم ولهذا فانهم
فهي تضاف الى الله خلقا وتقديرا وتضاف اليهم فعلا ومباشرة على الحقيقة من غير
منافاة ولا مناقضة فان الاعمال يضيفها الله اليهم وينسبها لهم وهم الفاعلون لها وهذا
معروف في عقلا وشرعا وحس والله خالق قدرهم ومشيتهم التي لا يوجد فعل
الا بها وخالق السبب التام خالق للمسبب قال تعالى والله خلقكم وما تعملون خلقكم
وقال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فاثبت
لهم مشيئة وفعلا وذكر ان مشيئتهم تابعة لمشيئته واراداته ومن اثار قدرته
ورحمته نصره لاوليائه على قلة عددهم وعددهم بالنسبة الى اعدائهم قال تعالى
وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله الاية قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد

وصي اثار قدرته ورحمته ما يحدثه لاهل النار واهل الجنة من انواع العذاب
واصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى وقد اخبر ان
كثيرا من الاشياء الله قادر على فعلها ولكنه لا يفعلها لان الحكمة تقتضي عدم ايجادها
قال تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولو شاء لهداكم اجمعين
فقدرة الله تعالى لا تعصي عليها شيء ان ربك فعال لما يريد)

ولهو العزيز فلن يرام جنابه ... اني يرام جناب ذي السلطان
ولهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء لهذه الصفتان
ولهو العزيز بقية لي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

لهذه الابيات الثلاثة مشتملة على معنى اسمه العزيز فذكر له ثلاث معاني
الاول العزيز بمعنى الممتنع الذي لا يرام جنابه لعظمة سلطانه وجليل كبريائه
قال تعالى في الحديث القدسي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن
تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى كما في انه العزيز بمعنى القاهر لكل شيء
الذي قهر جميع الاشياء فحاس دائرة الالهة فاخذ بناصيتها واحول ولاقوة
ماحد الاباسه العلي العظيم فلا يتحرك متحرك الا باذنه ولا يسكن ساكن الا بمشيئته
فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو الذي قهر كل شيء وذل له كل حي ونفذت الارادة
في كل شيء والمعنى الثالث انه العزيز بمعنى القوي المتين فله القوة الكاملة
التي لا عجز ولا نقص فيها بوجه من الوجوه فصار معنى العزيز بمعنى القوي
الممتنع القاهر قال تعالى ان العزة لله جميعا وقال وهو العزيز الحكيم
فان تفيد الاستغراق والعموم لجميع معاني العز ولهذا قال المؤلف

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وصف ادم النقصان

فهذه المعاني الثلاثة قد كملت له من جميع الوجوه فلا نقص في شيء منها

ولهو الحكيم وذاك من اوصافه ... نوعان ايضا ما لهما عدمان
حكم واحكام فكل منهما ... نوعان ايضا ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني وهو لا ... يتلازمان وما لهما سيان
من ذاك يوجد دون هذا فرط ... والعكس ايضا ثم يجتمعان

(اعني فانه لم يفض ما في يمينه ومن كمال غناه ان يسمع عباده الى يسألوه ويلحوا عليه هم بالاجابة ويثني عليهم
بسؤاله واتى تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما بكم من نعمة فمن الله ومن كمال غناه
لم يخلق اهل السموات والارض واولهم الخلق واخرهم وانسهم وجنهم في صعيد واحد فسأله

ان يخلو المربوب من احدهما او منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الكوني فهو المحبوب له الاول يخلو من الاكوان
هو امره الديني جاءت رسله بقيامه في سائر الازمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه في خلقه بالعدل والاحسان
هو كله حق وعدل ذو رضى والكل في المقضي كل الشان
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ـمقضي حيث كرهنا بالعصيان
فاسرض بالقضاء ونسخط الـ ـمقضي ما الامران مستحدان
فقضاؤه صفة به قامت وما الـ ـمقضي الا صنعة الانسان
والكون محبوب ومفقود ضل له وكلا بما مشيئة الرحمن
لهذا البيان بل لبسا طال ما هلكت عليه كنا سر كل زمان
وبحيل ما قد عقدوا اهواءهم وبجهلهم فافهم فهم سيان
من وافق الكوني وافق سخطه او لم يوافق طاعة الرحمن
فلذاك لا بعد وذم او فقـ ـد الا بحمد مع اجر ومع رضوان
ومرافق الديني لا بعد وذم اجر بل له عند الصواب اثنان

اقال المؤلف رحمه الله الكلام على هذا الاسم المبارك الحكيم لاقتضاء الحال للاطالة والبسط فانه كما قال في اخر هذا الكلام لهذا البيان بل لبسا الى اخر ما ذكر ه فذكر ان الحكيم من اوصاف الله تعالى نوعان احدهما حكم والثاني احكام وكل واحد منهما نوعان فتصير الاقسام اربعة حكم قدري كوني وحكم شرعي ديني وحكمة في خلقه وحكمة في امره فذكر ان الحكم القدري والحكم الشرعي لا يتلازمان اي لا يلزم من وجود احدهما وجود الاخر ومن عدمه عدم الاخر كما هو شان كل متلازمين بل قد يوجد الشرعي دون القدري وقد يوجد القدري دون الشرعي وقد يجتمعان ويكونان لامر ينتفعان اي لا يفقدان كلاهما ولهذا قال لن يخلو المربوب اي المخلوق وهذا شامل للمخلوقات كلها اي لن يخلو شيء من المخلوقات من احد الحكمين او منهما بل ليس ينتفيان اي لا بد من وجود احدهما فان هذا محال وبيان ذلك ان الحكم الشرعي هو الحكم الذي تعلقت به محبة الله تعالى ودعوا الى الذي شرعه وحكم به على السنة رسله ودعوا الى العباد فقام به من استجاب لهم واذا وجد الحكم الشرعي فعلا فانه لا يخلو من الاكوان اي لا يخلو من الحكم القدري وذلك ان الايمان والطاعات الصادرة من المؤمنين ~~فانما~~ بقضاء الله وقدره وتوفيقه

فاذا وجدت الطاعات وجد الحكم الشرعي معها واذا وجد الكفر والفسوق والمعاصي
وجد الحكم القدري لكونها واقعة بقضاء وقدر دون الحكم الشرعي لعدم
تعلق الامر والمحبة بها واذا كان الامر بالخير والايمان والطاعة موجودا ولم
يقم به من امر به كان الحكم الشرعي موجودا لوجود الامر دون القدري فانه
لو وجد لحصلت فانه ما شاء الله كان فالحكم الكوني هو قضاؤه على خلقه
بالعدل والاحسان اي لان افعاله تعالى لا تخلو من احد هذين الامرين اما احسان ونعم
واما عدل وهو تقديره ما يقدره من وقوع الشر من اهل الشر ومن عقوباتهم
في الدنيا والاخرة فانه عدل يحمد عليه لموافقته الحكمة ووضعه العقوبة موضعها
وذكر المصنف الفرق بين القضاء والمقضي وان القضاء وصف الله تعالى وفعله
الذي يتعين الرضا به لكونه غير خارج عن العدل والفضل وان المقضي صنعة
الانسان وفعله وذلك ينقسم الى قسمين محمود ومذموم فيرضى بالمحمود
من المقضي كالطاعات والايمان والصادر من اهل الخير ويسخط المذموم
من ذلك كالمعاصي الواقعة من فاعليها وذلك كله موافقة لمحبة الله ولكتبه
فان الله يرضى ويحب من عباده الايمان والشكر وانواع الخير ويكره منهم
الكفر والفسوق والمعاصي فالكون بالنسبة الى الحكم الشرعي ينقسم
الى قسمين محبوب لله ومبغوض له وبالنسبة الى الحكم القدري كله واقع
بمشيئة الله وقدرته ولهذا قال وكلاهما بمشيئة الرحمن فبهذا التفصيل
الذي ذكره المصنف ينكشف الامر ويتضح ويزيل لبسا ايما اختلاط واشتباه
حال ما هلكت عليه الناس منذ زمان بسبب اشتباه الحق بالباطل
وعدم تمييز الامور وتفصيلها فان كثيرا من المتكلمين اصلوا لهم اصولا
فاسدة بنوا عليها عقائد باطلة كما قرر كثير من اهل التصوف واهل
الكلام ان الحكم القدري مرادف للحكم الكوني وان الله يحب كل ما قدره
وقضاه وهذا من اعظم الباطل وشره فانه يتضمن التسوية بين
الابرار والفجار وبين البر والفجور ويلزم منه ابطال الشرع وعدم
من خالفه وعصى لانه موافق للقضاء والقدر وهذا تكذيب لله ولكتبه ورسله

الديني ص

(ولعله)

ولهذا قال المصنف هذا البيان يزيل الباطل ما تمسكت عليه كثير من الناس منذ زمان اي بسبب اختلاط ١٨
الحق بالباطل وتحيل ما قد عقد وامن الاغلال والعقائد الباطلة باصولهم التي بنوها وجوهم
التي هي نتائج ارائهم الفاسدة وعقولهم الضعيفة ومقاصدهم السيئة فافهم فهم بيان
لانه موضع مهم خطر لاركاد يوجد هذا التفصيل بغير كتب المصنف وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية
اذا تقرر ما تقدم من ان الاحكام نوعان احكام قدرية موافقة للقضاء والقدر وان
لم توافق محبة الله واحكام دينية موافقة للمحبة والامر الديني وان لم يوجد معها الحكم
القدري والخطاب قد يجتمعان او ينفرد احدهما فمن وافق في فعله وقوله ونيته الحكم القدري
وحده بان لا يكون ما فعله او قاله او نواه محبوبا لله فانه لا يخلو اما ان يوافق سخطه ايسخط
الله اذا كان ذلك معصية واما ان لا يوافق مرضات الله وذكر اذا كان ما فعله امرا مباحا غير
طاعة ولا معصية فلذاكر لا يعدوه ذم اذا كان معصية او فوات الاجر اذا كان مباحا اشبه
وموافق الديني وهو الذي امتثل ما امر الله به واجتنب ما نهى عنه بحسب قدرته وان كان منه
لا يعدوه اجرا اجتهد فاخطأ الحق بل له عنه الصواب اي اذا اجتهد فاصاب اثنان اي
اجران كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ
فله اجر لان نيته الحق وسعى لتحصيله وذلك عمل صالح ولكن فاته ادراكه بغير تفريط منه
وحاصل ما ذكره المصنف في هذا الفصل ان الحكيم هو من له الحكم وله الاحكام وان الحكم نوعان
حكم كوني شامل لجميع ما قدره وقضاه وكونه ما خير وشر وحكم ديني مختص بما يحبه الله
ويرضاه وان ما وجد منه الخير بالفعل وجتمع في حقه الحكمان معا وما وجد في حقه الشر
بالفعل انفرد في حقه الحكم الكوني لانه بقضاء وقدر والله لا يحب الشر والفساد وما لم توجد فيه
الامر الديني فلم يتعلق له وجد فيه في ذلك الحال الحكم الديني لانه وجد فيه ولم يوجد الحكم القدري
لانه لم يتعلق له ولو شاء الله لفعله وان القضاء غير المقضي فالقضاء فعل الله يحب ان يرضاه به من
غير تفضيل لانه عدل واحسان لا يخرج عن الحمد والحكمة والمقضي فعل العبد وفي الرضا به تفضيل
فان كان خيرا وطاعة وايمانا تعين الرضا به ومحبته وان كان شرا ومعصية وكفرا تعين سخطه
وان لم يكن لا خيرا ولا شرا لم يتعين فيه الرضا ولا الكراهة ثم ذكر الاحكام والحكمة فقال

فصل

والحكمة العليا على نوعين ايضا حصلا ... يقع طبع البرهان

احد هما في خلقه سبحانه ... نوعان ايضا ليس يفترقان

احكام لهذا الخلق اذ ايجاده ... في غاية الاحكام والاتقان

وصدوره من اجل غاية ... وله عليها حمد كل لسان

والحكمة الاخرى فحكمة شرعة ... ايضا وفيها ذانك الوصفان

غامل بها اللائق حمدك وكيفها في غاية الاحكام والاتقان
لهذا النوع الثاني مما يدل عليه اسم الحكيم وهو ان له الحكمة التامة
في خلقه وامره وحكمته علياء لا يشابهها شيئ فليس بكمله شيئ في
جميع نعوته التي من جملتها الحكمة والحكمة في خلقه على نوعين احدهما انه
احكم جميع ما خلقه واتقنه باحسن خلق واتم نظام لا يكن احد من الخلق ان يقترح
احسن منه ولا يرى فيه عيبا ولا عيبا فكل ما خلقه فهو محكم متقن لم يخلق شيئا
عبثا ولا خلق شيئا معيبا قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار اي شيئ الذي من جملته انه يخلق
شيئا لغير فائدة ولا مصلحة وقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وقال تعالى الذي احسن كل شيئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين
وقال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الايات ونحوها من الايات
التي يحث الله بها العباد الى التنظر والتفكر فخر المخلوقات لاستدلالها على الحكم البالغة
والنعم السابغة وانها سالمة من كل عيب وعيب قال تعالى الذي خلق سبع
سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من
فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير لم ير
خللا ولا نقصا فلله در جميع العالم على اتم نظام واكمل خلق واحسنه
فهذا نوع من انواع الحكمة في الخلق ومعانيها كلها محكمة متقنة تشاهد
حكمتها بالابصار والبصائر ويخفى اكثرها فيستدل بما علم منها على ما لم يعلم
والنوع الثاني انها مخلوقة لغاية ومقصود بها مقصود عظيم فخلقها
الله تعالى ليستدل بها العباد على ما لله من صفات الكمال وما له من الجميل
الافعال ولهذه غايات يحمد عليها لتضمنها ظهور آثار اسمائه وصفاته
ومعرفة العباد لها وايضا خلق الله السموات والارض وما بينهما
بالحق فهي مخلوقة بالحق وللحق ومن ذلك انه ليجازي المحسن
باحسانه والمسيئ باسائته وخلق الله المكلفين ليعرفوه ويعبدوه

ويطيعوه

السماء
م

و طريقة لاجل ان يجازيهم باعمالهم قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
فهي نهاية الامر ومنتهى الاخبار وان الغاية لخلق السموات والارض والجن والانس
وانزال الشرائع على الانبياء لاجل ان يعرفوا الله باسمائه وصفاته ويعبدوه بمقتضى
ذلك وقال تعالى اليحسب الانسان ان يترك سدى اي معطلا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب
ولا يعاقب فان هذا ظن فاسد لانه يتضمن العبث في افعاله تعالى وهو منزه عن ذلك
ثم قرر ذلك بدليل عقلي فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فالذي
نقل الانسان لهذه الاطوار المتنوعة حتى وصله الى ما وصل اليه لا يليق به ان يهمله
ويعطله عن امره ونهيه وثوابه وعقابه ونظير هذا قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله ان ينزه عن هذا الحسبان الباطل المنافي
للحكمة وحمده وكماله ولهذا قال الملك الحق المبين فان الملك الحق لا بد ان يامر
وينهى ويثيب ويعاقب ويجازي المحسن باحسانه والمسيئ باساءته
وقال تعالى منزها نفسه عن ظن من ظن انه يترك خلقه سدى لا يرسل اليهم
رسولا ولا ينزل عليهم كتابا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء الى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا الاصل الكبير ولهذا افعاله
تعالى كلها محكمة متقنة لا عيب فيها ولا خلل وانه فعل ما فعله لغايات
محمودة ومقاصد سديدة ثم ذكر الحكمة الاخرى في شرعه وانها على
نوعين ايضا احدهما انها في غاية الاحكام والاتقان ويكفي في هذا
الموضع معرفة القاعدة العامة وهي ان الاوامر والنواهي تتبع
للمصالح والمنافع فعلا وتركا فكل امر يشتمل على المصلحة الخالصة
او المصلحة الراجحة فانه مامور به وكل امر يشتمل على مفسدة
خالصة او راجحة فانه منهي عنه ويدل على هذا قوله تعالى في وصف
النبي صلى الله عليه وسلم يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فالمعروف الذي يامر به نوعا عرف حسنه

لا اله الا هو رب العرش الكريم ٢

شرعا وعقلا وذكر ما ترجحت مصلحته وفائدته في القلب والبدن
والدنيا والاخرة والمنكر الذي ينهى عنه هو ما عرف قبحه شرعا وعقلا
وذكر ما ترجحت مضرته في الدنيا والاخرة والقلب والبدن والطيبات
التي احلها كل ما تأكل ومشروب وملبوس ومنكوح وصنف كطيب
والمنفعة الذي يضطر او يحتاج اليه والخبيثات التي حرمها ضد ذلك
وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
فالبر والتقوى الذي امر الله بفعله والتعاون عليه كل عمل صالح وخلق
فاضل وفعل رشيد وقول سديد من الاخلاص لله تعالى والصدق وحسن
الخلق وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان الى عموم الخلق والعدل بينهم
وسلامة الصدر والنصح للخلق والتأدب بالاداب الحسنة والرفق
واللين والسماحة وغير ذلك مما حث الشرع عليه وصنف ذكر المنهي عن
الكبر والتجبر على الخلق والكذب والرياء وعقوق الوالدين وقطيعة الارحام
وظلم الخلق في دمائهم واموالهم واعراضهم وسوء الخلق وغير ذلك من
مساوئ الاخلاق ومن احكام الامر والنهي الشريعة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان فكل وقت ومحل يحتاج
اليها فيه مما لا تصلح الدنيا والاخرة الا بالعمل بها ولهذا كانت من
اعظم الادلة على كمال من انزلها وعلمه وحكمته وصدق رسوله صلى الله
عليه وسلم ولهذا كان خاتم الانبياء فلا نبي بعده قال تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا والتنوع الثاني
من حكمة الامر ان الله امر ونهى وشرع الشرائع ليبلي عباده المطيع
منهم والعاصي والصادق والكاذب وليقوم سوق الجهاد والعبادات
التي يحبها ويرضاها ولتنور القلوب بمعرفته والالسنة بذكره
والاعضاء بطاعته وليثيب المطيعين من فضله ويكرمهم بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وليتم عليهم فضله واحسانه
الى غير ذلك من الغايات والحكم التي سوغ الله لشرائع لاجلها

قال المصنف

قال المصنف في بدائع الفوائد فتأمل اسرار كلام رب العالمين وما تضمنته ايات الكتاب
المجيد من الحكمة البالغة الشاهدة بانه كلام رب العالمين والشاهدة لرسوله الصادق
المصدوق وهذا كله من مقتضى حكمته وحمده تعالى وهو معنى كونه خلق السموات والارض
وما بينهما بالحق ولم يخلق ذلك باطلا بل خلقه خلقا صادرا عن الحق دالا على الحق
مستملا على الحق فالحق سابق لخلقها مقارن له غاية له ولهذا اتى بالباء الدالة على هذا
المعنى دون اللام المفيدة للغاية وحدها فالباء مفيدة معنى اشتمالها على الحق السابق
والمقارن والغاية فالحق السابق صدور ذلك عن علمه وحكمته فصدر خلقه تعالى
وامره عن كمال علمه وحكمته وبكمال الغايتين الصفتين تكون المفعول الصادر عن الموصوف
بهما حكمة كلية ومصلحة وحقا ولهذا قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم
فاخبر عن مصدر المتلقى عن علم المتكلم وحكمته وما كان كذلك كان صدقا وعدلا
ولهذا وارشادا وكذلك قالت الملائكة لامرأة ابراهيم حين قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز
قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ولهذا راجع الى قوله وخلقه وهو خلق الولد لهما
على الكبر وانما مقارنة الحق لهذه المخلوقات فهو ما اشتملت عليه من الحكم والمصالح
والمنافع والايات الدالة للعباد على الههم ووحدانيته وصفاته وصدق رسله
وان لقاءه حق لاريب فيه ومن نظر في الموجودات ببصيرة قلبه رأها كالاشخاص
الشاهدة الناطقة بذلك بل شهادتها اتم من شهادة الخبر المجرد لانها شهادة حال
لا تقبل كذبا فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقا حق تأمله الا وجده شاهدا الاعلى فاطره
وباريه وعلى وحدانيته وعلى كمال صفاته واسمائه وعلى صدق رسله وعلى ان لقاءه حق لا
ريب فيه ولهذه طريقة القرآن في ارشاد الخلق الى الاستدلال باصناف المخلوقات
واجهها على اثبات الصانع وعلى التوحيد والمعاد والسموات خمس مرات تخبر انه
لم يخلق خلقه باطلا ولا عبثا ومرة يخبر انه خلقهم بالحق ومرة يخبر لهم وبينهم
على وجه الاعتبار والاستدلال بها على صدق ما اخبرت به رسله حتى يتبين لهم
ان الرسل انما جاءهم بما تشهد به ادلة صدقه وبما تأملوه لوجدوه مركوزا في فطرهم
مستقرا في عقولهم وانما تشاهد به من مخلوقاته تشاهد بما اخبرت به عنه رسله
من اسمائه وصفاته ودقت صنعته ولقائه ووجود ملائكته ولهذا باب عظيم من ابواب
الايمان انما يفتحه الله على من سبقت له من الله سابقة السعادة ولهذا الله ورد علم بنائه
العبد في هذه الدار وقد ... في موضع اخر الا كل حركة تشاهد على اختلاف انواعها
فهي دالة على التوحيد والنبوات والمعاد بطريق سهلة واضحة برهانية وكذلك ذكرت
في رسالة الى بعض الاصحاب بدليل واضح ان الروح مركوز في اصل فطرتها
وخلقتها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الانسان

ف الملائكة

لو استقصى التفتيش لوجد ذلك مركوزا في نفسه وروحه وفطرته
فلو تأمل العاقل الروح وحركتها فقط لاستخرج منها الايمان بالله وصفاته
والشهادة بانه لا اله الا الله والايمان برسله وملائكته ولقائه وانما يصدق بهذا
من اشرقت شمس الهداية على افق قلبه وانجابت عنه سحائب غيه وانكشف عن قلبه
حجاب اغاويه فنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فهذا لك
بيد وله سرطال عنه اكتتامه وبلوح له صباح نهوليله وظلامه
فقف الان على كل كلمة من قوله تعالى ان في خلق السموات والارض لايات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل
الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح
ايات لقوم يعقلون ثم تأمل وحدة كونها وعلى ما ذا جعلت اية على مطلوب واحد
من مطالب متعددة وكذلك سائر ما في القرآن من هذا النمط كما خر آل عمران وقوله في
سورة كهيعص وما ايات الى اخرها وقوله في سورة النمل قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى الى اخر الايات واضعافا مضاعفة ذكر في القرآن وكقوله في سورة
الذاريات وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وكاين من اية في
السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فهذا كله من الحق الذي خلقت
به السموات والارض وما بينهما وهو حق مقارن لوجود هذه المخلوقات مسطور
في صفحاتها يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب كما قيل

تامل سطور الكائنات فانها من الملك الاعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تاملت خطها الا كل شيء ما خلا الله باطل

وما الحق الذي هو غاية خلقها فهو غاية تراد من العباد وغاية تراد بهم
فالتي تراد منهم ان يعرفوا الله تعالى وصفات كماله تعالى وان يعبدوه لا يشركون به شيئا
فيكون وحده الههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم قال الله تعالى الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما فاخبر انه خلق العالم ليعرف وعباده كمال
قدرته واحاطة علمه وذلك يستلزم معرفته ومعرفة اسمائه وصفاته
وتوحيده وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فهذه الغاية هي المراده
من العباد وهي ان يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده فاما الغاية المراده بهم فهي
الجزاء بالعدل والفضل والثواب والعقاب قال تعالى ولله ما في السموات
والارض

وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وقال تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال تعالى ليبين
لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وقال تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ما من شفيع الا من بعد اذنه
ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون الى قوله بما كانوا يكفرون فتأمل الآن كيف استدل خلق
السموات والارض على الحق اولا واخرا ووسطا وانها خلقت بالحق وللحق وشاهدة بالحق
وقد انكر تعالى على من زعم خلاف ذلك فقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
ثم نزه نفسه عن هذا الحسبان المضاد لحكمته وعلمه وحمده فقال فتعالى الله الملك
الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وتأمل ما في هذين الاسمين وهما الملك الحق
من ابطال هذا الحسبان الذي ظنه اعداؤه اذ هو مناف لكمال ملكه ولكونه الحق
اذ الملك الحق هو الذي له الامر والنهي فيتصرف في ملكه بقوله وامره وهذا هو الفرق
بين الملك والمالك اذ المالك هو المتصرف بفعله والملك هو المتصرف بامره والرب تعالى
مالك الملك فهو المتصرف بفعله وامره فمن ظن انه خلق خلقه عبثا لم يامرهم ولم ينههم
فقد طعن في ملكه ولم يقدره حق قدره كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شيء ومن جحد شرع الله وامره ونهيه وجعل الخلق بمنزلة
الانعام المهملة فقد طعن في ملك الله ولم يقدره حق قدره وكذلك قوله الا له الحق
يقتضي كمال ذاته وصفاته واسمائه ووقوع افعاله على اكمل الوجوه واتمها فكان
ذاته الحق فقوله الحق ووعده الحق وامره الحق وافعاله كلها حق وجزاؤه المستلزم
لشرعه ودينه وللموم الاخر حق فمن انكر شيئا من ذلك فما وصف الله تعالى بانه
الحق المطلق من كل وجه وبكل اعتبار فكونه حقا يستلزم شرعه ودينه وثوابه
وعقابه فكيف يظن بالملك الحق ان يخلق خلقه عبثا وان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم
ولا يثيبهم ولا يعاقبهم كما قال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى قال الشافعي مهملا
لا يؤمر ولا ينهى وقال عنيه لا يجزى بالخير والشر ولا يثاب ولا يعاقب والعقل يدل على ما قاله
فالشافعي ذكر سبب الجزاء وهو الثواب والعقاب وهو الامر والنهي والاخر ذكر غايته
الامر والنهي وهو الثواب والعقاب ثم تأمل قوله بعد ذكر الملك نطفة مهينة
عين ثم كان علقة فخلق فسوى فمن لم يتركه وهو نطفة سدى بل قلب النطفة وصرفها
حتى صارت اكمل مما هي وهي العلقة ثم قلب العلقة حتى صارت اكمل مما هو حتى
خلقها فسوى خلقها فذبرها بتدبيره وحكمته في اطوارها كلا لما حتى انتهى خلقها
بشرا سويا فكيف يتركه سدى لا سيوقه الى غاية كماله الذي خلق له فاذا تأمل
العاقل البصير احوال النطفة من مبدئها الى منتهاها دلته على المعاد والنشور

وما بين هذا
يد بر الامر
ص

كما تدل له على اثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله فكما يدل احوال النطفة من مبدئها
الى غايتها على كمال قدرة فاطر الانسان وباريه كذلك يدل على كمال حكمته وعلمه وملكه واله الملك
الحق المتعالي عن ان يخلقها عبثا او يتركها سدى بعد كمال خلقها وتأمل كيف لما زعم اعداؤه
الكافرون انه لم يأمرهم وينههم على السنة رسله وانه لا يبعثهم للثواب والعقاب كيف
كان لهذا الزعم منهم قولهم ان خلق السموات والارض باطل فقال تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فلما ظن اعداؤه
انه لم يرسل اليهم رسولا لم يجعل لهم حظا للعقائد كان ذلك ظنا منهم انه خلق خلقه باطلا
ولهذا اثنى على عباده المتفكرين في مخلوقاته بانهم وصلهم فكرهم فيها الى شهادتهم بانه تعالى لم
يخلقها باطلا وانهم لما علموا ذلك وشهدوا به علموا انه خلقها ليستلزم من ونهيه وثوابه
وعقابه فذكروا في دعائهم لهذا الامر فقالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فلما علموا
ان خلق السموات والارض يستلزم الثواب والعقاب تعوذوا بالله من عقابه ثم ذكروا
الايمان الذي وقر علمه فكرهم في خلق السموات والارض فقالوا ربنا انا سمعنا منادي
للايمان ان امنوا بربكم فامنا فكانت ثمرة فكرهم في خلق السموات والارض الاقرار بالله تعالى
وبوحدانيته وبدينه وبرسله وبثوابه وعقابه فتوسلوا اليه بايمانهم الذي هو اعظم
فضله عليهم الى مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم وادخالهم مع الابرار الى جنته التي وعدوها
وذلك تمام نعمته عليهم فتوسلوا بالقائمة عليهم اولا الى القائمة عليهم اخرا وتلك وسيلة
بطاعته الى كرامته وهي احدى الوسائل اليه وهي الوسيلة التي امرهم فيها في قوله
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واخبر عن خاصة عباده
انهم يبتغون الوسيلة اليه اذ يقول تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب على ان في هاتين الايتين اسرارا بديعة ذكرتها في كتاب التحفة
المكية في بيان الملة الابراهيمية فانظر لهم فكرهم صحيح في خلق السموات والارض
انه لم يخلقهما عبثا باطلا وانتج لهم الايمان بالله ورسوله ودينه وشرعه وثوابه
وعقابه والتوسل اليه بطاعته والايمان به ولهذا الذي ذكرناه في هذا الفصل قطرة من
بحر لا ساحل له فلا تستطله فانه كنز من كنوز العلم لابراهيم كل نفس والاعتناء
كل محروم والله يختص برحمته من يشاء انتهى كلامه رحمه الله وهو كما ذكره في
غاية النفاسة ويوضح لهذا المبحث توضيحا تاما مما اذا اثبتناه تعرف
تفاصيل الحكمة في الشرع فاعتبر المسائل مسالة مسالة فانك تجدها
في غاية الاحكام والاتقان وفي اعلى درجات الحكمة والمصلحة

ولهذا

ولهذا كان الفقهاء والمتكلمون على الاحكام الشرعية يعللونها بالمصالح والحكم
والمناسبات فلو كان الامر والنهي والتحليل والتحريم غير تابع للحكمة لم تكن فائدة
في تعليل الاحكام والاحتجاج بها عليها ومقدار التوسع في بيان حكمة الله في شرعه
وقدره اجمالا وتفصيلا وتأصيلا فعليه بكتاب مفتاح دار السعادة للمصنف رحمه الله
فانه بسط الكلام فيه بسطا شافيا وفيما نبهنا عليه من ذلك كفاية والله اعلم

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران

هذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
حيي ستير يستحي من عبده اذا مد يديه اليه ان يردهما صفرا وهذا من رحمته
وكرمه وكماله ان العبد يجاهره بالعصيان وهو الفقير اليه غاية الافتقار حتى انه لا
يمكنه ان يفعل معصية الله الا بالتقوي عليها بنعم ربه فيستحي ربه الكريم الرؤف الرحيم
من هتكه وفضيحته واحلال العقوبة عليه فيستره بما يقتضي له من اسباب الستر
مع الحيظ على الكمال والعفو عنه والغفر له ذنوبه فهو يتحبب الى عباده بالنعم وهم يتبغضون
اليه بالمعاصي فيرى بهم نازل بعده اللحظات وسوء هم اليه صاعد ولا يزال الملك الكريم يصعد
اليه منهم عمل قبيح ويستحي تبارك وتعالى من شاب في الاسلام ان يعذبه ومن عبد
اليه يديه ان يردهما من غير شيء يريد عود العباد الى دعائه وبعدهم بالاجابة وهو الحيي
الستير يحب اهل الحياء والستر ومن ستر مسلما ستر الله عليه في الدنيا والاخرة ولهذا
يكره من عبده اذا فعل معصية ان يذيعها بل يتوب اليه فيما بينه وبينه ولا يظهر بها للناس
وان من اقبح الناس اليه من بات عاصيا والله يستره فيصبح يكشف ستر الله عليه
وقال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيمة فيقرره
بذنوبه حتى اذا ظن انه قد هلك قال اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى
كتابه بيمينه ومن العجب ان الكريم يستحي من فضيحة عبده والظالم الجاهل لا يستحي من
ربه بل لا يزال دائبا في معصيته متعاهدا لسخطه يدعوه ربه الى بابه فيشرد عنه ويدعوه
عدوه الى ولايته فيلبي دعوته قد اقبل على عدوه الذي ليشقى بطاعته في دنياه واخراه
وتولى عن وليه الذي بكل السعادة في الاقبال عليه والاشتغال بخدمته وكل الارباح في معاملته
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين وانما كان ترك الحق
وترك بيانه على اي حال كان لا يكون من الحياء المحمود اخبر تعالى انه لا يستحي من الحق

بدلا حيي

فقال والله لا يستحيي من الحق وقال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها وذلك لان بيانه الحق لعباده باي طريق كان من اجل نعمه عليهم
وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه لغارت الارض بالسكان
يعني انه تعالى الحليم الذي له الحلم الكامل العفو الذي له العفو الشامل ومتعلق
هذين الوصفين الكريمين معصية العاصين وذنوب المجرمين فان الذنوب
في الاصل تقتضي ترتب اثارها عليها من العقوبات العاجلة فحلمه تعالى يقتضي
امهال العاصين وعدم معاجلتهم بالعقوبة ليتوبوا من عصيانهم وعفوه تعالى
يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصا اذا تابوا باسباب العفو
من الاستغفار والتوبة النصوح فان حلمه وعفوه وسعا اهل السموات
والارض فلولا حلمه وعفوه لغارت الارض بسكانها قال تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقال تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا وهو تعالى عفو يحب العفو ويحب من عباده ان يجتهدوا
في تحصيل اسباب عفوه من السعي في مرضاته على الدوام والعفو عن زلات
العباد قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان
وافقت ليلة القدر فبم ادعو قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف
عني رواه مسلم فمن سامح عباد الله سامحه الله ومن عفى عنهم عفى الله عنه
ومن كماله تعالى ان عفوه مقرون بالقدرة فيعفو عن قدرة لا من يعفو لعجزه
عن الانتقام ولهذا جمع الله بينهما في قوله وكان الله عفوا قديرا ومن تمام
حلمه وعفوه ان المجرم الذي افنى عمره بالكفر به وبرسله وبتكذيبه وتكذيب
رسله والسعي في محاربته ومحاربة اوليائه والحرص على اطفاء الحق واظهار
الباطل انه اذا تاب توبة نصوحا ورجع اليه نادما على جرمه فانه يعفو
عنه في ساعة واحدة جميع ما تقدم من المعاصي والاجرام قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال تعالى لما ذكر اصحاب الاخدود
الذين حرقوا اولياءه المؤمنين بالنار يدعوهم للتوبة ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وقال النبي
صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها

وهو الصبور على اذى اعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتما وتكذيبا من الانسان
لهذا وذاك يسمعه ويعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكي يعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

وهذه الابيات مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيح لا احد اصبر على اذى سمعه من الله يجعلون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم وبما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن ادم ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق بأهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الفرد الصمد الذي لم ألد ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد ولهذا قال المصنف وهو الصبور على اذى اعدائه شتموه اي نسبوه نسبا لا يليق بجلاله ونسبوه للبهتان الذي تنزه عنه فالشتم لهم كسب بقولهم له ولد فان هذا منافق لوحدانيته وغناه وانه مالك السموات والارض كما قال تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه عن هذه النسبة الباطلة التي لا تصدر الا عن اعظم المخلوقين ثم ذكر ما يدفع ذلك وقال هو الغني له ما في السموات والارض ثم ذكر مصدر هذا القول الذي قالوه وانهم يقولون ويتكلمون بلا علم ولهذا من اعظم المحرمات فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ليس عندكم ادنى حجة بهذا القول الذي قلتم اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم ذكر انه افترى فقال قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون ونسبته للبهتان هو تكذيبه بقول المنكرين للبعث لن يعيدنا وهذا تكذيب له ولرسله قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فلم يبال المعاندون بقول الله بل كذبوه وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اي لا يكون ذلك بزعمهم فانهم ما جهلهم قاسوا قدرة العظيم بقدرة العبد الضعيف ولم يفقهوا قوله تعالى مخبرا عن عظمته وكمال اقتداره ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فقول المؤلف شتما عائد الى نسبة الولد له وقوله تكذيبا عائد الى انكارهم البعث ثم قال لهذا وذاك اي نسبة الولد والتكذيب بالبعث بسمعه تعالى يسمع ما به ينطقون ويعلم ما يسرون وما يعلنون والحال انه لو شاء لعاجلهم بكل هوان اي بكل عقوبة تشاكلهم لكمال قدرته وعدم امتناعهم عن تنفيذ ارادته فيهم ومع هذا يعافيهم ويرزقهم فيديم لهم الارزاق ويتم عليهم بالنعم وهم يؤذونه بالشرك والكفران فهل مثل هذا الصبر شيء فانه صبر متضمن للاحسان وقد ترتفع فان الصبر قد يوجبه عدم قدرة المصابر على مقابلة المؤذي وقد يصبر على الاذى والاحسن الى من اساء اليه

واما الله تعالى فهو الصبور على الحقيقة يؤذيه العبد الضعيف العاجز بعاداته
ومعاداته رسله ومحاربته اولياءه والسعي في اطفاء دينه وناصيته بيده الله
وهو المتصرف فيه في حركاته وسكناته ومع ذلك يمهله ويستدعيه الى التوبة
ويحثه على الانابة ويمد عليه الارزاق الواسعة فتبارك رب العظيم البديع
كمثله شيئ وهو السميع البصير الصابر الذي يحب الصابرين ويعينهم في جميع امورهم

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللواحظ كيف بالافعال والاركان

الرقيب والشهيد مترادفان وكلاهما يدل على احاطة سمع الله بجميع المسموعات
وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية ولهذا قال
المصنف وهو الرقيب على الخواطر اي يعلم ما يخطر في القلوب من الافكار والوساوس
التي لم يتكلم بها العبد وعلى اللواحظ بالابصار اللواحظ الخفية والجلية فاذا كان
رقيبا على الخواطر واللحظات فكيف لا يكون رقيبا على ما هو اظهر منها من الافعال
والاركان والحركات قال تعالى ان الله على كل شئ رقيبا وقال تعالى والله على كل شئ شهيد
وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد ولهذا كانت المراقبة هي التعبد باسمه الرقيب فاذا علم العبد ان الله
الظاهرة والباطنة قد احاط الله بعلمها واستحضر العبد لهذا العلم في جميع احواله
اوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر ونهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل
قول او فعل يسخط الله وتعبد بمقام الاحسان فعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه
فانه يراه قال تعالى منبها على هذا المعنى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين
تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وقال الشاعر

كان رقيبا منك بي حين خاطري ... واخبر عني ناظري ولساني
خطرت في القلب مني خطرة ... لغيرك الا قمت منها بجنان
ولا نظرت عيني لغيرك نظرة ... من الخلق الا قلت قد رمقاني
ولا ابدت مني فيك بعدك لفظة ... لغيرك الا قلت قد سمعاني

ثم قال المصنف

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل بحفظهم من كل امر عان

ذكر رحمه الله للحفيظ معنيين احدهما انه الحفيظ عليهم جميع ما عملوه من خير وشر
وطاعة ومعصية فان علمه تعالى محيط بجميع اعمالهم ظاهرها وباطنها وقد
كتب ذلك في اللوح المحفوظ ومع ذلك فقد وكل بالعباد ملائكة كراما كاتبين

يعلمون

يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ج

يعلمون ما يفعلون قال تعالى احصاه الله ونسوه وقال تعالى وكل شيء احصيناه ٤٢
في امام مبين وقال تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك
على الله يسير وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فهذا المعنى من حفظه تعالى على عبده متضمن
لاحاطة علم الله تعالى باحوال العبد الظاهرة والباطنة والاقوال والافعال وكتابتها
باللوح المحفوظ وفي الصحف التي بايدي الملائكة وعلمه تعالى بمقادير اعمالها وكمالها ونقصها
ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بعدله وفضله والمعنى الثاني
من معنيي الحفيظ انه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون ولهذا قال المصنف
ولهم الكفيل بحفظهم من كل ما يشق ويكرههم وحفظه تعالى لخلقه نوعان
عام وخاص فالعام حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيم بنيتها ويحفظ قواها
وتسعى الى مصالحها بهدايته العامة التي قال الله عنها الذي خلق كل شيء ثم هدى اي هدى اعطى ج
كل مخلوق الى ما قدر له وقضى له مما يعود عليه ضرورته كالهداية للمآكل والمشارب والمناكح
والسعي في اسباب ذلك ودفعه عنهم انواع المكاره واصناف المضار التي يشترك فيها الابرار
والفجار من الحيوانات وغيرها فهو الذي يحفظ السموات والارض ان تزولا ويحفظ الخلائق
بنعمه ان تفسد او تتلفا وقد وكل بالادميين حفظة من الملائكة الكرام يحفظونهم
من امر الله اي يدفعونه عنهم كلما ضرهم مما يعود بصدد ان يضرهم لولا حفظ الله قال تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقال تعالى قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن اي لو تخلى عنكم الرحمن الذي رحمكم بحفظكم فمن ذا الذي يقوم بكلاءتكم
في نومكم ويقظتكم عنه اي لا احد يقوم بذلك سوى الرحمن فتعين ان يكون هو المعبود
وحده والنوع الثاني حفظه الخاص لاوليائه وعباده المؤمنين سوى ما تقدم
يحفظهم عما يضر ايمانهم او يزلزل ايقانهم من انواع المحن والفتن والشبه التي
يخاف معها على الايمان فيحافظهم الله منها وان ابتلوا بها يسر لهم الخروج منها معافية
ويحفظهم من اعدائهم من الانس والجن فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم قال
تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا ولم يذكر ما يدفع عنهم لاجل العموم والشمول
وانه يدفع عنهم كل ما يضر ايمانهم وعلى حسب ما مع العبد من الايمان يكون دفع الله عنه
قال تعالى في دفعه العام للمؤمنين ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ومن الحفظ الخاص ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء الذي يقال عند المنام اللهم ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عباد ك الصالحين فصار معنى الحفيظ الذي يحفظ على العباد اعمالهم
ليجازيهم بها ويحفظهم مما يكرهون

وهو اللطيف لعبده ولعبده واللطف في اوصافه نوعان
ادراك اسرار الامور بخبرة واللطف عند مواقع الاحسان
فبرفقه عزته وبيدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشان

يعني ان اللطيف هو اللطيف لعبده في اموره المتعلقة بنفسه وهو اللطيف لعبده اي يلطف
له في الامور الخارجة عنه فيسوق اليه ما به صلاح مصالحه لا يشعر ولهذا كان اللطف
في اوصاف الله تعالى على قسمين احدهما خبرته تعالى وادراكه لاسرار الامور وخفايا الصدور
ومغيبات الامور ومالطف ودق من كل شيء وهذا النوع يرجع الى احاطة علمه بالمعلومات
الا انه العلم الخاص في الامور الخفية ويلزم منه علمه بجليات الامور وما ذكر يعلم
تعلق علمه بما في باطن الارض من عروقها والبذور واستخراجها من باطن الارض بما ينزل عليها
من السماء وخبرته بشدة حاجة عباده لو ذكر ذكر لهذا الاسم الكريم فقال الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير فهو الذي يعلم السر واخفى ويعلم
ما في السموات والارض ويخرج الحب في السموات والارض وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور والنوع الثاني لطفه لعبده وليه الذي يريد ان يتم عليه احسانه
ويشمله بكرمه ويرقيه الى المنازل العالية فييسره للسرى ويجنبه العسرى ويمتحنه
بانواع المحن التي تشق عليه وتكرهها وهي عين مصالحه والطريق الى سعادته
كما امتحن انبياءه باذى قومهم وبالجهاد في سبيله حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وكما ذكر الله عن يوسف عليه السلام بعد
ما فصلت له المحن باخوته ثم بالرق ثم بمراودة امرأة العزيز ثم بالسجن
الطويل ثم جعل الله ذلك كله طريقا الى علوه وارتفاعه وملكه وخضوع ابويه
واخوته له ولهذا قال في اخر قصته وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من
قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف
لما يشاء انه هو العليم الحكيم وكثيرا ما يمتحن اولياءه بما يكرهون

ليبلهم

ليسيلهم ما يحبون ولهذا قال المصنف فيريك عزته اي في امتحانك بما تكره
ويبدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشان فلو اطلع على الغيب لفرح
بكثير من الامور التي تجري عليه بخلاف ما يهوى وكم لله من لطف وكرم لا تدركه الافهام
ولا تتصوره الاوهام وكم استشرف العبد لمطلوب من مطالب الدنيا من امارة او ولاية
او سبب من الاسباب الدنيوية فصرفه الله عنه رحمة به لئلا يفسد عليه دينه فنظر
العبد حينئذ من جهله وعدم معرفته بربه وفي الدعاء المأثور اللهم ما رزقتني مما احب
فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما تحب اللهم الطف
بنا في قضائك وبارك لنا في قدرك حتى لا نحب تعجيل ما اخرت ولا تأخير ما عجلت

فصل

ولهو الرفيق يحب اهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق امانيهم
ولهذا قال خذه المؤلف رحمه الله معقل النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة بعد
ما سمعت اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم السام عليك يا محمد فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله وعليكم فقطنت عائشة لليهودي فقالت وعليكم السام
واللعنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق الحديث
وقال ان الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف فالله تعالى رفيق في افعاله
خلق السموات والارض في ستة ايام مع قدرته على خلقها في لحظة واحدة وكذلك
الادميون والحيوانات وانواع الاشجار والنبات خلقها تعالى بالتدريج شيئا فشيئا
حتى تتم وتكبر ولهذا من رفقه وحكمته التي فيها من الفوائد والمنافع ما لا يدخل
تحت الحصر واذا كان رفيقا فحقيق بحب اهل الرفق ويعطيهم من فضله واحسانه
ما لا يعطي عنيفهم ولهذا ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا كان العنف في شيء الا شانه
فالمتأني في الذي يأتي الامور برفق وسكينة ووقار واتباع السنة اسهل حتى الكون
تتيسر له الامور خصوصا الذي يأمر الناس وينهاهم في مصالح دينهم ودنياهم
فانه محتاج بل مضطر الى الرفق واللين قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من
الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وكذلك من اذاه الناس
بالاقوال الشنيعة فصان لسانه عن مشاتمتهم ودفع عن نفسه برفق ولين
اندفع عنه من اذاهم بسبب ذلك ما لا يندفع عمن قابلهم وصنع كصنيعهم مع
راحته وطمأنينة قلبه واكتسابه للرزانة والحلم وتنزهه عن سفسفة الاخلاق
ولهذا لما كان اليهود يريدون بخطابهم النبي صلى الله عليه وسلم بتحريم السام عليكم
يريدون الموت من كمال حلمه صلى الله عليه وسلم لم يشتمهم بل قال وعليكم اي ما قلتم

ولهذا قال لعائشة لم تسمعي ما قلت لهم فبني عليه الصلاة والسلام ان المقابلة
قد تحصل من دون كلام مستبشع وقول غليظ وقال سفيان الثوري رحمه الله
ينبغي للامر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه
عدلا فيما يأمر به عدلا فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه فالرفق
يدرك به خير كثير ويثيب الله عليه ثوابا جزيلا والعنف بخلاف ذلك

وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان

يعني ان القريب من اسمائه تعالى صنفان قرب عام وقرب خاص فالقرب
العام احاطة علمه بجميع الاشياء وهو اقرب الى الانسان من حبل الوريد
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا
اكثر الا هو معهم اينما كانوا والنوع الثاني قربه المختص بالداعين والعابدين
والمحبين وهو قرب يقتضي المحبة والنصرة والتأييد والاجابة والقبول والاثابة
ومن ذلك قوله تعالى فاسجد واقترب وقال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد فمن اقرب من عابديه وقال تعالى واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فهذا قربه من داعيه بالاجابة والقبول
وللصنف ههنا كلام حسن ذكره في بدائع الفوائد فلنذكره لشدة الحاجة اليه
وعدم احضاره عنده قال في اثناء كلامه على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
الى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وساقها وهو من النكت العسرية
البديعة جدا الدال على قرب صاحبه من الله وانه لاقرب منه وشدة حضوره
بسر مسألة اقرب شيء اليه فسأله مسألة مناجاة القريب للقريب
لا مسألة نداء البعيد للبعيد ولهذا اثنى سبحانه على عبده زكريا في قوله
اذ نادى ربه نداء خفيا فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه وانه اقرب
اليه من كل قريب وتصور ذلك اخفى دعاءه ما امكنه ولم يتأت له رفع صوت
به بل يراه غير مستحسن كما ان من خاطب جليسا يسمع اخفى كلامه فانه لو
بالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه ولله المثل الاعلى سبحانه وقد اشار
النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة
اصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال اربعوا على انفسكم فانكم لا
تدعون

عنده ح

تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا اقرب الى احدكم من عنق راحلته وقد قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقد جاء ان سبب نزولها ان الصحابة قالوا يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وهذا يدل على ارشادهم للمناجاة في الدعاء لا للنداء الذي يعتبر رفع الصوت فانهم يسالونه فاجيبوا بان ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله الى النداء وانما يسال مسالة القريب المناجي لا مسالة البعيد المنادي وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص لمن دعا وقربا عاما من كل احد فهو قريب من داعيه وقريب من عابده واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وهو احق من قرب الاجابة وقرب الاجابة الذي لم يثبت اكثر المتكلمين سواه بل هو قرب خاص من الداعي والعابد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رواية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا فهذا قربه من عابده واما قربه من داعيه وسائليه فكما قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان وقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي الاشارة والاعلام بهذا القرب وانما قربه تبارك وتعالى من محبيه فنوع اخر ونبأ اخر فهذا ان اخر قد ذكرناه في كتاب التحفة المكية على ان العبارة تنبو عنه ولا يحصل في القلب حقيقة معناه لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب واياك ثم اياك ان تعبر عنه بغير العبارة النبوية او يقع في قلبك غير معناها ومرادها فتزل قدم بعد ثبوتها وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم فوقعوا في انواع من الطامات والشطح وقابلهم من غاظ محبته العبد لربه جملة وقربه منه واعاد ذلك كله مجرد الثواب المخلوق فهو عنده المحبوب القريب ليس الا وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء في كتاب التحفة الكرامية طريق انتهى كلامه رحمه الله

قربان

وهو المجيب يقول من يدعوا جبه انا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر اذ يدعوه في سر وفي اعلان

جعل المؤلف للمجيب معنيين معنى عام ومعنى خاص فالعام هو اجابته تعالى لكل من دعاه دعاء عبادة ودعاء مسالة كما قال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم فدعاء المسالة ان يقول بلسانه اللهم اعطني كذا واللهم ادفع عني كذا وهذا يقع من البر والفاجر ويستجيب الله فيه للبر والفاجر فقد يدعو الكافر بحصول رزق او دفع عدو او خروج من مشقة فيستجيب الله له ولا اعظم كفرا من ابليس وقد سال الله النظرة فانظره الله الى يوم يبعثون وليس هذا يستدل به هذا النوع على كرم الباري وسعة جوده وحلمه ولا يدل مجرد الاجابة على حسن حال الداعي الذي اجيبت دعوته حتى يأتي ما يدل على ذلك فان اقترن به ما يدل على تعين الحق معه كسؤال الانبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم دل ذلك على صدق من اجاب الله دعاءه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

كثيرا ما يدعو بدعاء يرى الناس عيانا اجابته فجعلوا ذلك من دلائل النبوة
وايات صدقه صلى الله عليه وسلم وكذلك ما يذكرونه عن كثير من اولياء امته من
اجابة دعواتهم يجعلونه من كرامات الله لاوليائه واما الاجابة الخاصة فلها
اسباب عديدة ومن اعظمها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة فان
الله تعالى يجيب دعوته وذلك لشدة افتقار العبد اليه في هذه الحال وانقطاع تعلقه
من المخلوقين ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم اليها فكيف عن
اضطر اليها وله قال المصنف وهو المجيب لدعوة المضطر اذا يدعوه في سر
وفي اعلان ومن اسباب اجابة الدعاء اطالة السفر والتوسل الى الله باحب الوسائل
المقربة اليه من اسمائه وصفاته ونعمه ودعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده او عليه
وفي الاوقات والاحوال الشريفة كما وردت بذلك كله النصوص والاخبار التي
لا يسعها هذا الموضع قال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال تعالى واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال تعالى ان ربي قريب
مجيب وقال ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض
وهو الجواد فلا يخيب سائلا ولو انه من امة الكفران
يعني ان جوده تعالى عام لجميع المخلوقات قد عمها وشملها وملأها من
فضله واحسانه ونعمه ظاهرة وباطنة وخاص للسائلين بلسان
المقال او بلسان الحال من بر وفاجر ومسلم وكافر فمن سأل الله تعالى اعطاه سؤله
ونال ما طلب قال تعالى وهو الرحيم انه هو البر الرحيم وقال تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون وقال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ان الله غفور رحيم وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم
عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى انه قال يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد
فسألوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص
المخيط اذا غمس في البحر وفي رواية لغير مسلم ذلك بانني جواد ماجد
واجد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن فيكون
وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة

سحاء

ساع

كلام ص

سخاء الليل والنهار الا ترى ما انفق منذ خلق السموات والارض
فانه لم يغض ما في يمينه وبيده الاخرى القبض يخفض ويرفع ومن جوده
وكرمه ما اعده الله لاوليائه في دار كرامته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ومن جوده وكرمه انه المغيث لكل مخلوقاته فلهذا قال
وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا تجيب اغاثة اللهفان
فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات فهو المغيث لجميع المخلوقات
عند ما تتعسر امورها وتقع في الشدائد والكربات من اطعام جائعهم
وكسوة عاريهم وتخليص مكروبهم وكشف الضر عنهم وانزال الغيث عليهم في وقت
الضرورة اليه وكذلك تجيب اغاثة اللهفان اي دعاء من دعاه في حالة اللهفة وشدة
الاضطرار فمن استغاثه اغاثه وقال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما
قنطوا وينشر رحمته وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينظر اليكم ازلين قنطين
فيظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب وقال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون وقال تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم الآية وقال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه
تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون
وقال تعالى ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله
وقال تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يا عباس الذي رواه الترمذي وغيره واعلم ان النصر
مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وقال تعالى عن ذي النون عليه السلام
انه فادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المؤمنين اذا وقعوا في الشدائد نجاهم الله ودفعها عنهم بايمانهم
ولهذا ينجيهم من كربات الموت وشدة القبر وهو اهوال يوم القيامة حين تتعسر قدرهم
ولا يبقى ملجأ يلجؤن اليه الا الله تبارك وتعالى وكم انجانا في الدنيا من الكرب والشدائد
كثير من انبيائه واوليائه واغاثهم بلطفه ودفع عنهم بعزته ورحمهم ويسر لهم اليسرى

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبونه احبابه بره والفضل للمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلوب بهم وحبانا هم بحب ثان
لهذا الهوى الاحسان حقا لاهما وصنة والتوقع الشكران

القسطاح

٧٧

له ص

لكن يحب شكورهم وشكورهم لا يحتاج منه للشكر الذي
لهذا التفسير لاسمه تعالى الودود وقد اختلف المفسرون في تفسيره فقيل انه فعول
بمعنى فاعل وقيل انه فعول بمعنى مفعول والصحيح انه يعم النوعين كليهما
كما قال المصنف فهو الودود الذي يود عباده المؤمنين واوليائه الصالحين
وهو المودود لاوليائه وعباده المتقين بل لا شيء اود اليهم منه ولا تعادل محبة
الله محبة لا في اصلها ولا في متعلقاتها ولا في كيفيتها ولهذا فهو الواجب ان تكون
محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة غالبة على كل محبة ويتعين ان تكون كل محبة
تبعا لمحبة الله قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية وقال تعالى
والله يحب المحسنين والله يحب الصابرين ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
وقال تعالى وهو الغفور الودود اشارة الى ان مداحيه الله غفر له الذنوب
ويسره لكل مطلوب وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وكذلك على وجوب محبة الله تعالى وانه يجب تقديمها على سائر المحاب
المنفوس بقوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم الآية
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فتوعد
تعالى من كانت هذه الامور احب اليه من الله ورسوله واتباع مرضاته الخ
ولهذا كانت محبة الله تعالى هي روح الاعمال وجميع العبودية فاسئلة محبة الله
ومحبة العبد لربه فضل من الله واحسان ليست بحول العبد ولا قوته فهو الذي
احب عبده فجعل المحبة في قلبه ثم لما احبه العبد جازاه الله بحب اخر فهذا الفيض
الاحسان على الحقيقة احسان محض ليس المقصود به المعاوضة وانما ذكر محبته منها
للشاكرين من عباده ومحبة الشكر من غير حاجة منه الى الشكر بل المصلحة كلها
عائدة الى العبد فتبارك الذي اودع محبته في قلوب عباده المتقين ثم لم يزل ينميها
ويقويها حتى وصلت الى حالة تتضاءل عندها المحاب وتسلو عن المألوفات
وتهون عليهم المصيبات وتلذ لهم مشقة الطاعات وتهون لهم ما يشاؤن
من اصناف الكرامات التي اعلاها حصول محبة الله والفوز برضاه والانس بقربه
فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين سابقة محبة قبلها صارت محبا لربه ومحبة
بعدها شكرا من الله له على محبته صار بها من اصفيائه المخلصين فنسأل الله حبك
وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا الى حبك اللهم اجعل حبك احب الاشياء
الى نفوسنا واهلنا واولادنا ومن الماء البارد واجعل كل محبة تعلقت منا بغيرك

تابعة

تابعة لمحبتك واعظم سبب يكتسب به العبد محبة الله التي هي اعظم المطالب
الاكثار من ذكره وكثرة الانابة اليه وكثرة التقرب اليه بالفرائض والنوافل
وتحقيق متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا كما قال تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال من عادى لي وليا فقد اذنته
بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيئ احب الي مما افترضت عليه وما يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها
ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن
شيئ انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته رواه البخاري والمقصود ان معنى الودود انه المحبوب
المودود اعظم مودة واصفاها واخلصها من عباده المؤمنين الواد
لعباده القائمين بحبه ومرضيه وله الفضل والمنة في ذلك كله
ونحو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه باحسانه
ما للعباد عليه حق واجب هو اوجب الاجر العظيم شأن
كل والاعمال لديه صالح ان كان بالاخلاص والاحسان
ان عذبوا فبعدل منه ونحو فبفضله والحمد للمنان

قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما
وقال تعالى والله شكور فمن اسمائه تعالى الشاكر الشكور الذي لا يضيع
سعي عامل بل وجهه ولا يتركه باطلا بل يضاعفه اضعافا مضاعفة
بلا عد ولا حساب كما قال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقال تعالى
ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وقال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما وقال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء والله واسع عليم وقال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم

وهو مؤيد ص

ولهم من فزع يومئذ امنون وقال تعالى فمن يعمل من الصالحات فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة فان عملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وقال صلى الله عليه وسلم ما تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل العظيم متفق عليه والعزيز ذلك من النصوص الدالة على سعة فضل الله وانه الشاكر لسعي العاملين الذي لا يضيع عمل عامل وبعينه ما يجعل المتحملون من اجله ومن فعل لاجله اعطاه فوق المزيد ومن ترك لاجله عوضه الله خيرا من ذلك وهو الذي وفق عباده المؤمنين لمرضاته ثم شكر لهم على ذلك واعطاهم من كرامته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل هذا ليس حقا واجبا عليه بالاصل وانما هو الذي اوجبه على نفسه ولهذا قال المصنف ما للعباد عليه حق واجب بل هو الواجب الاحق العظيم الشان ولهذا القيد الذي قيده به المصنف احسن من اطلاق من اطلق ذلك بقوله ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

وكذلك تقييد المصنف لسعي الذي لا يضيعه الله بقوله ان كان بالاخلاص والصواب اي مقصودا به وجه الله محسنا فيه على سنة رسوله لان العمل لا يكون صالحا حتى يوجد فيه هذان الشرطان الاخلاص والمتابعة كما قال في موضع آخر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فقيام دين الله بالاخلاص والاحسان اللهم اله اصلان

ن

وقول المؤلف ان عذبهم فبعدله لانهم لا يعذبهم الا بذنوبهم التي اجترموها بعد ما قامت عليهم حجة الله وحذرهم الله منها غاية التحذير فاذا استمروا على الطغيان بعد ذلك ولم يقبلوا نصائح الناصحين علم انهم لا يصلحون الا للعذاب فعدل فيهم حيث عذبهم لانهم يضعون العقوبة الا في موضعها واما انعامه واكرامه فانما ذلك محض فضله واحسانه لانه الذي وفقهم وانعامهم واعدلهم من الكرامات ما لا يقابله اضعاف اضعاف اعمالهم وكما له تعالى تمام الحمد وكمال النعمة وله الفضل اولا واخرا وظاهرا وباطنا قال في بدائع الفوائد وقد اخبر الله سبحانه في كتابه انه كتب على نفسه الرحمة ولهذا ايجاب منه على نفسه فهو الموجب وهو متعلق الايجاب الذي اوجبه فاوجب بنفسه على نفسه بقوله في الحديث

في الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب بيده على نفسه في كتاب فهو عنده موضوع
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ سبقت غضبي فتأمل ٢٩
كيف اكد هذا الطلب والايجاب بذكر فعل الكتابة وصفة اليد ومحل الكتابة وانه
كتاب وذكر مستقر الكتاب وانه عنده فوق العرش فهذا ايجاب مؤكد بانواع
التأكيد وهو ايجاب منه على نفسه ومنه قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فهذا حق اوجبه على نفسه فهو طلب وايجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لمعاذ اتدري ما حق الله على
عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا
اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم
عليه ان لا يعذبهم بالنار ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في غير حديث
من فعل كذا وكذا كان حقا على الله ان يفعل به كذا وكذا في الوعد والوعيد
فهذا الحق الذي اوجبه على نفسه ومنه الحديث الذي في المسند عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الماشي الى الصلاة اسالك بحق ممشاي
هذا وبحق السائلين عليك فهذا حق السائلين عليه هو اوجبه على نفسه
لا انهم اوجبوه او اوجبوه بل اوجب على نفسه ان يجيب من سأله كما اوجب على
نفسه في حديث معاذ ان لا يعذب من عبده فحق السائلين عليه ان يجيبهم
وحق العابدين له ان يثيبهم والحقان هو الذي اوجبهما لا السائلون
ولا العابدون فانه ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
ان عذب فبعدله او نعم فبفضله وهو الكريم الواسع
ومنه قوله تعالى وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن فهذا الوعد
هو الحق الذي اوجبه على نفسه واوجبه ونظير هذا ما اخبر به تعالى من قسمه
ليفعلنه نحو قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين
وقوله ولنهلكن الظالمين وقوله فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك ومما تبعك
منهم اجمعين الى اخر ما ذكره رحمه الله والمقصود ما هذا الكلام وذكر ما يتعلق بقوله
ما للعباد عليه حق واجب هو اوجب الاجر العظيم لهم فان اجابته على
نفسه ما اوجبه فضل منه واحسان لا معاوضة ولا في مقابلة عمل مستقل
ما احد من العالمين قاله المنة في هذه الدار وفي دار البرزخ ودار القرار

فصل

وهو الغفور فلو اتى بقرابها من غير شرك مل من العصيان
لاتاه بالغفران مل قرابها سبحانه هو واسع الغفران

يعني انه تعالى الغفور الذي وصفه المغفرة للذنوب والجرائم فلو اتى العبد بقراب الارض خطايا وهو لا يشرك بالله شيئا لاتاه الله بقرابها اي بملئها مغفرة كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لهذا مع عدم التوبة واما التوبة فان الله يمحو بها الذنوب الكبار والصغار الشرك فما دونه كما قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ان ربك واسع المغفرة فمغفرته تعالى وسعت كل شيء فالعباد لا يزالون يذنبون والله يتجاوز عنهم ويحب العفو عنهم وهو ان كان واسع المغفرة فانه قد جعل لمغفرته اسبابا تنال بها لانها اعظم المطالب وذلك بالتوبة والاستغفار والايمان والعمل الصالح والاحسان الى عباد الله ومغفرته ما يصدر منهم وحسن الظن بالله تعالى وعفوه ذلك مما جعله مقربا لمغفرته كما قال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يرد الله به خيرا يصب منه وقد تكاثرت النصوص الدالة على تكفير السيئات بالمصائب المكاره التي تصيب العبد خصوصا اذا عمل بما امره الله به من الصبر والاحتساب وقال تعالى في الحديث القدسي يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم ولولا عفوه ومغفرته ما قر على ظهر الارض من دابة ولكنه تعالى يعامل عباده بالاحسان اليهم بحصول الخيرات ودفع المضرات التي انعقدت اسبابها فيحلها ويزيل آثارها وسيأتي ان شاء الله وجه عدم دخول الشرك في مغفرة الله في خاتمة الفصول

وكذلك التواب من اوصافه والتوب في اوصافه نوعان
اذن بتوبة عبده وقبولها بعد العتاب بمنة الملان

يعني ان التواب اي كثير التوبة على الخطائين والمذنبين وتوبته على عبده نوعان الاول اذنه لعبده وتوفيقه للتوبة فانه لولا توفيقه لما

خط

٣٠

ط يقلب العبد ارادة التوبة ثم لو لا توفيقه لما صارت تلك الارادة
عزما جازما فقولنا لفعل اسباب التوبة من الاقلاع عن الذنب
في الحال والندم على ما مضى منه والعزم على ان لا يعود اليه والاستمرار
على ذلك النوع الثاني توبته على عبده بعد توبة العبد بقبولها
واحابتها ومحو الذنوب بها فهو الذي من بالسبب والمسبب وله الفضل
والاحسان في اول الامر واخره فعلى العبد الاجتهاد في مرضاته والشكر له
على توفيقه ومنه قال النبي صلى الله عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها وما يكفر عليه
وقال تعالى بعد ما ذكر الشرك والمعاصي الكبار ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب
وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ومن لطفه تعالى وكرمه انه يفرح بتوبة
التائب اعظم مما يفرح من فقد راحلته التي عليها طعامه وشرابه وما يصلحه
في ارض مهلكة دوية قطعها حتى اليس منها وجعل ينتظر الموت فبينما هو على
تلك الحال اذا الفوز راحلته على راسه فاخذ بخطامها فقال من شدة الفرح اللهم انت
عبدي وانا ربك اخطأ من شدة الفرح الذي اذهب حواسه وادراكه كما ثبت ذلك
في الصحيحين

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي صمدت اليه الخلق بالاذعان
الكامل الاوصاف من كل الوجوه كماله ما فيه من نقصان

هذا معنى اسمه الصمد المعنى الجامع الذي يدخل فيه كل ما فسر به الصمد فهو الصمد
الذي تصمد اليه جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار وتقصده العالم العلوي
والسفلي في حوائجه ومهماته لا يستغني احد عنه طرفة عين وهو الصمد الذي
له الصفات الكاملة من كل الوجوه الذي ما في كماله من نقصان فهو العليم
الكامل في علمه الحليم الكامل في حلمه الرحيم الكامل في رحمته وهكذا سائر الصفات
فالصمد الذي تصمد اليه جميع المخلوقات لانه كامل الصفات قال المصنف في البدائع
التاسع عشر ان من اسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات ويكون ذلك
الاسم متناولا لجميعها وتناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كما تقدم بيانه
كاسمه العظيم والمجيد والصمد كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن ابي حاتم

في تفسيره قال الصمد الذي كمل في سودده والشريف الذي قد كمل
في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته
والعليم الذي قد كمل في علمه والحليم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد
كمل في انواع شرف وسودده وهو الله سبحانه وتعالى لهذه صفته
لا ينبغي الا له ليس له كفوا احد وليس كمثله شيئ سبحان الله الواحد
القهار وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الاسماء الحسنى
ففسر الاسم بدون معناه وتقصر من حيث لا يعلم

وكذلك القهار من اوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيا عزيزا قادرا ما كان ما قهر ولا سلطان

القهار هو الذي قهر الاشياء وانقادت لعظمته ومشيئته المخلوقات كلها
فلا يحدث حادث الا بمشيئة الله ولا يسكن ساكن الا بارادته وما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال تعالى
وهو الواحد القهار وقال تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يدبر الامر وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام
من يملك السمع والابصار ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقال تعالى ما من
دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فالخلق كلهم فقراء
الى الله من جميع الوجوه لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا والله تعالى هو المالك للملك الذي له العظمة والسلطان
والتصرف ثم ذكر المصنف ان القهار من اسمائه مستلزم لكمال حياته
وكمال عزته وكمال قدرته لانه محال ان يكون قاهر الكل شيئ وهو غير حي
ولا عزيز ولا قادر ولهذا قال ولم يكن حيا عزيزا قادرا ما كان ما
قهر ولا سلطان وسيأتي ان شاء الله تفصيل القول في انواع الدلالات

ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي صح

وكذلك الجبار من اوصافه والجبر في اوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني

والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من انسان
ولذا سمى مالك وهو العلم فليس يدنو منه من انسان
من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاتت لكل بنان

يعني ان للجبار معنيين بل ثلاثة معاني كلها داخلة باسم الجبار
فهو الجبار الذي يجبر القلوب المنكسرة من اجله فيجبر الكسير ويغني
الفقير ويسر على المعسر كل عسير ويجبر المصاب بتثبيته وتوفيقه للصبر
واعاضته على ذلك اكمل الاجر ويجبر قلوب الخاشعين لعظمته الخاشعين لكبريائه
ويجبر قلوب المحبين بما يفيض عليها من انواع كرامته وحسن فسراته فالقلب
المنكسر لربه جبره من اقرب الاشياء ولهذا كان دعاء المظلوم والمضطر والمريض
والمسافر ونحوهم مجابا للكسرة التي في قلوبهم ومن هذا قول الداعي اللهم اغفر
لي وارحمني واجبرني فان الجبر معناه جبر الشيء المنكسر باصلاحه وتقويمه
وازالة كسره ومنه الجبيرة وهي العيدان التي تكسر فتربط عليها ما يشدها ويقيمها
وسؤال العبد لربه ان يجبره يتضمن الدعاء باصلاح حاله وتقويم امره
وسائر شؤونه وازالة ما فيه من الوهن والضعف والنقص والمعنى الثاني للجبار
انه القهار لكل شيء الذي اذا اراد شيئا قال له كن فيكون بحيث لا يمتنع
عليه شيء والمعنى الثالث انه الجبار العالي على خلقه الذي من عظمته وكبريائه
قد باين مخلوقاته وعلا عليها فليس يدانيه احد منها لكمال رفعته
وعلاه وبهذا المعنى ما خرج ما قول العرب للنخلة المرتفعة نخلة جبارة
فالجبار العالي على كل شيء القاهر لكل شيء الجابر للمنكسر خصوصا
المنكسرين من اجله

فصل

وهو الحسيب حماية وكفاية والكل حسب كافي العبد كل اوان

يعني ان الحسيب معناه الكافي لعبده جميع ما اهمه من امر دينه ودنياه
الحامل له من جميع الاكارة لان الحسب بمعنى الكفاية فالحسيب هو الكافي
والحسيب معنى اخر لم يذكره المصنف وهو انه الذي يحفظ على العباد
اعمالهم ما ظهر وسر ثم يبينهم بها ويحاسبهم عليها ويعرفهم مقادير

اعمالهم ومراتبها في الخير والشر وبجازيهم عليها قال تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كافيك وكافي اتباعك فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به العبد من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وبحسب عبوديته لربه كما قال تعالى اليس الله بكاف عبده وقال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الى غير ذلك من النصوص الدالة على محاسبته لعباده بما عملوه وعلى كفايته اياهم جميع امورهم

ونعود لرشيد فقوله وفعاله ... رشد وضده مرشد الحيران
وكلاهما حق فهذا وصفه ... والفعل للارشاد ذاك الثاني

يعني ان معنى الرشيد الذي قوله رشد وفعاله رشد المرشد لكل حيران وتائه وضال الى الصراط المستقيم بيانا وتوفيقا وكلا المعنيين حق فهذا وصفه اي كون اقواله وافعاله رشدا والفعل للارشاد ذاك الثاني اي كونه مرشد الحائرين وهادي الضالين فاما اقواله تعالى فانها اقوال قدرية واقوال شرعية دينية فاقواله القدرية التي يوجد بها الاشياء ويدبر بها ما شاء من اوقع تصاريف كلها حق لانها مشتملة على الحكمة التامة التي يحمد عليها تعالى اتم حمد واكمله ويعرف ذلك باستقراء المخلوقات وما فيها من الحكم والمصالح وانه لا عبث فيها بوجه من الوجوه واقواله الشرعية الدينية هي الاقوال التي تكلم بها في كتبه وعلى السنة رسله المشتملة على الصدق التام في الاخبار والعدل التام في الامر والنهي فانه لا اصدق من الله قيلا ولا احسن منه حديثا وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في الاخبار عدلا في الاوامر والنواهي وهي اعظم ما يرشد به العباد مع الحصول الى الارشاد بغيرها فمن لم يسترشد بها فليس برشيد فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق والهدى والضلال والاحكام الشرعية ويحصل بها الرشد العملي فانها تزكي النفوس وتطهر القلوب وتدعو الى صالح الاعمال واحسن الاخلاق وتحث على الافعال الجميلة وترغب عن الافعال الرذيلة فمن استرشد بها فهو المهتدي ومن لم يسترشد بها فهو الغاوي والله تعالى لم يجعل لاحد عليه حجة بعد بعثته للرسل وانزاله عليهم الكتب المشتملة على

الهدى

الهدى وكم قد هدى هذا الارشاد حائرا فحوه رشيد في قوله وفعله وارشاده

والعدل من اوصافه في فعله ومقاله والحكم بالميزان

فعلى الصراط المستقيم الهنا قولا وفعلا ذاك في القرآن

يعني ان الله هو الحكم العدل في وصفه وفي فعله وفي قوله وفي حكمه بالقسط وهذا معنى كونه تعالى على صراط مستقيم كما قال هود عليه السلام ان ربي على صراط مستقيم وذلك لان افعاله تعالى كلها دائرة بين الفضل والعدل والحكمة فكلها افعال رشيدة مستقيمة وجميع اقواله صدق وعدل وحكمه الديني عدل وحكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه عدل وحكمه بين عباده في الجزاء والثواب والعقاب عدل فليس في شيء من ذلك ظلم بوجه من الوجوه فان الله لا يظلم مثقال ذرة ولهذا يحمده الخلائق بعد ما يقضي بينهم في القيمة فيقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال تعالى الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان وقال تعالى امر عباده باقامة العدل والقسط يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولهذا اتفقت شرائع كلها على الامر بالعدل والنهي عن الظلم

ليقوم الناس بالقسط

فصل

هذا ومن اوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للوصف

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن كل نقصان

يعني ان من اسمائه القدوس السلام فالقدوس هو المنزه المعظم عن كل سوء وكذلك السلام على الحقيقة وضابط ما ينزه عنه ان ذكرها المولى حدها انه الكامل المنزه عن مماثلة احد من المخلوقات فليس كمثله شيء في جميع نعوته الكمال اوصافه والثاني انه المنزه عن كل عيب ونقصان وانتقاص يرجع الى ما ينافي وصف كماله فالقدوس كلام يرجع معناها الى التنزيه ويلزم من التنزيه التعظيم والثناء عليه بصفات الكمال لان التنزيه والسلب المحض ليس مدحا حتى يتضمن اثبات ضده وهو الكمال قال المصنف في بدائع الفوائد فصل اذا عرف هذا فاطلاق السلام على الله تعالى انما من اسمائه هو اولى به من هذا كله واحق من هذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص يتخيله ويهم وسلام في صفاته من كل عيب ونقص وسلم في افعاله من كل عيب وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار فعلم ان استحقاقه لذلك

تعالى لهذا الاسم الاكمل استحقاق كما يطلق عليه ولهذا هو حقيقة
التنزيه الذي نزه به نفسه ونزله به رسوله فهو سلام من كل صاحبة
والولد والسلام من النظير والكفؤ والسمي والمماثل والسلام من الشريك
وكذلك اذا نفيت الى افراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما
يضاد كمالها فحياته سلام من السنة والموت والنوم وكذلك قيوميته
وقدرته سلام من التعب واللغوب وعلمه سلام من عزوب شيء عنه
او عروض نسيان او حاجة الى تذكر وتفكر وارادته سلام من حروجها
عن الحكمة والمصلحة وكلماته سلام من الكذب والظلم بل تمت كلماته
صدقا وعدلا وغناه سلام من الحاجة الى غيره بوجه ما بل كل ما سواه
محتاج اليه وهو غني عن كل ما سواه وملكه سلام من منازع فيه
ومشارك ومعاون او مظاهر ومنافع عنده بل وان نزوله
سلام من كل مشارك له فيها بل هو الله الذي لا اله الا هو وحلمه وعفوه
وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من ان يكون عن حاجة منه
او ذل او مصانعة كما يكون من عزيز بل هو محض جوده واحسانه
وكرمه وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه
سلام ان يكون ظلما او تشفيا او غلظة وقسوة بل هو محض حكمته
وعدله ووضعه الاشياء مواضعها وهو مما يستحق عليه الحمد والثنا
كما يستحقه على احسانه وثوابه ونعمته بل لو وضع الثواب مكان
العقوبة لكان مناقضا للحكمة ولعزته فوضعه العقوبة موضعها
هو من احمده وحكمته وعزته فهو سلام مما يتوهمه اعداؤه والجاهلون به
من خلاف حكمته وقضائه وقدرته سلام من العيب والجور والظلم
ومما يتوهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة وشرعه ودينه سلام
من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد
ورحمتهم والاحسان اليهم وخلاف حكمته بل شرعه كله حكمة ورحمة
ومصلحة وعدل وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة لحاجة

الى

الى المعلي ومنعه سلام من البخل وخوف الافلاس بل عطاؤه احسان محض
لا لعاوضة ولا لحاجة ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز
واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من ان يكون محتاجا الى ما يحمله ويستوي
عليه بل العرش محتاج اليه وحملته محتاجون اليه فهو الغني عن العرش وحملته
وعن كل ما سواه فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة الى عرش ولا احاطة
شيء به سبحانه وتعالى بل كان سبحانه والعرش ولم يكن به حاجة اليه وهو
الغني الحميد بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه
وقهره ومن عز حاجة الى عرش ولا عزة بوجه ما ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا
ليس مما يضاد علوه وسلامه مما يضاد غناه بل ترفع لما كان متعرضا للهدي
والسقوط طالبا للسلامة راجيا لها سميت الالة التي يتوصل بها الى غرضه سلما
لتضمنها سلامته اذ لو صعد بتكلف وسلام مما يضاد كماله وغناه وسلام
من كل ما يتوهم معطلا ومسلبه وسلام من ان يكون تحت شيء ومحصورا في شيء
وتعالى الله ربنا عن كل ما يضاد غناه وكماله وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله
مشبه او يقوله معطل وهو الالة الاولية سلام من ان يكون عن ذل
كما يولد المخلوق بل هو ولادة رحمة وجود واحسان وبر كما قال تعالى وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكذلك محبته لمحبيه وليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق
من كونها محبة حاجة اليه او علة له او انتفاع بقربه وسلام مما يقوله
المعطلون فيها وكذلك ما اضافه الى نفسه من اليد والوجه فانه سلام مما يتخيله
مشبه او يقوله معطل فتأمل كيف تضمن اسم السلام كل ما ينزه عنه تبارك
وتعالى وكم من يحفظ هذا الاسم والذي يليه ما تضمنه من هذه الاسرار والمعاني
والله المسؤل ان يوفق للتعليق على الاسماء الحسنى على هذا النمط انه قريب مجيب
انتهى كلامه رحمه الله وقد اشتمل من تفصيل معاني هذا الاسم الكريم على خير كثير

الظاهر ان زائدة ليست في البدائع كذا في هذا الموضع

والبر في اوصافه سبحانه ... هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه ... فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن ... مولى الجميل دائم الاحسان

يعني ان البر في نسبته الى الله نوعان احدهما انه البر الرحيم الذي اتصف بالجود والكرم وكثرة الخيرات واصناف البر الذي لا منتهى له والثاني انه البر بمعنى انه المحسن الذي انعم على العباد بجزيل النعم ودفع عنهم جميع النقم فما بالعباد من بر واحسان وخير وسرور في دينهم ودنياهم الا من الله وبره الذي استحقوا به دخول الجنة من لطفه بهم وتوفيقه اياهم فمعنى البر هو المتصف بالرحمة العظيمة الذي دل على خلقه انا رحمن واسدى عليهم من جوده ما به استقامت احوالهم وعمت نوالهم

وكذلك الوهاب من اسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن تلك المواهب ليس ينفكان

يعني انه تعالى الوهاب يستمر الاحسان متواتر الفضل يزداد ولا يزال محسنا متفضلا دائم الهبات كثير الخيرات جزيل العطايا الخلق مخلوق على رحمته واحسانه طرفة عين فاهل السموات والارض واهل الدنيا والاخرة لا ينفكون عن جوده واحسانه ولا يستغنون عنه في حال من الاحوال بل هم المفتقرون اليه على كل دوام فيهب لهم من احسانه ما به تقوم امورهم الدينية ويهب لعباده المؤمنين من فائدة رحمته ليلهم بها شعثهم ويصلح فيها نقصهم ويرقيهم تعالى على الدرجات والوصول الى اجل الكرامات ولا يحصي احد من المخلوقين تعداد بعض نعم الله تعالى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

وكذلك الفتاح من اسمائه والفتح في اوصافه امران
فتح بحكم ونصر اولياء الهنا والفتح بالاقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلا واحسانا مع الرحمن

يعني ان من اسمائه الحسنى الفتاح وذلك على قسمين احدهما الفتاح بحكمه الديني وحكمه الجزائي والثاني الفتاح بحكمه القدري فحكمه الديني هو شرعه على السنة رسله ما به تقوم احوال المكلفين

المكلفين وتستقيم احوالهم الدينية والدنيوية ويعرفهم كلما يحتاجون
اليه واما فتحه بحكمه الجزائي فهو فتحه بين انبيائه ومخالفيهم
وبين اوليائه واعدائه والفتح في القيمة بين سائر الخلق حين يوفى كل
عامل عمله وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون واما فتحه القدري فهو
ما يفتحه على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع قال تعالى ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده فهذا فتح
الخير وقال في فتح الشر على من تعرض له ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح واستفتاحهم
طلبهم ان يحل بهم ما وعدهم الله على لسان رسوله تكذيبا للرسول وتعجيزا لربهم
وقال تعالى في فتحه بين انبيائه ومن خالفهم ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي حين ينزل بهم
العذاب الذي توعدوا به وقال شعيب عليه السلام ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال في الفتح عن عباده في دار
الجزاء قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا وهو الفتاح العليم فاربب هو الفتاح
الذي انفرد بالعطاء والمنع وهو الذي يفتح للعباده خزائن جوده وكرمه
فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء وهو الذي يأمر وينهى ويثيب ويعاقب
وكل هذا تابع لعدله وفضله يحمد عليه ثم الحمد وأكمله ولهذا قال المصنف
عبد الرحمن حسانا من الرحمن

وكذلك الرزاق من اسمائه ... والرزق من افعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله ... نوعان ايضا هما معروفان
رزق القلوب العلم والايمان والـ ... ـرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال ورزقه ... رزقه والفضل للمنان
والثاني في سوق القوت للاغتذاء في كل الحيوان سوقه يجريان
هذا يكون من الحلال كما يكو ... ن من الحرام كذا لذا رزقان
والرب يرزقه بهذا الاعتبا ... ر وليس بالاطلاق دون بيان
قال تعالى ان الله هو الرزاق وذكر المؤلف رحمه الله ان رزقه نوعان
احدهما الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والاخرة وهو الرزق الذي
على يد رسول صلى الله عليه وسلم رزق القلوب بالعلم والايمان وحقائقه

بالحق ٥

ورزق الطيب بالحلال الذي لا تبعة فيه فان الرزق الذي خص الله به المؤمنين
والذي يسألونه منه شامل لذلك كله فينبغي للداعي بالرزق ان يستحضر
بقلبه لهذه الالفاظ فاذا قال اللهم ارزقني فمعناه اللهم ارزقني ما يصلح به
قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الايمان الشامل لكل عمل صالح وخلق
حسن وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهني الذي لا تبعة فيه ولا
تبعة تعتريه وهذا وسيلة للاول والاول هو المقصود من الطلب
ولا بد له من الثاني ليعد بدنه ويصلح لاقامة دين الله والنوع
الثاني من الرزق الرزق العام لسائر الخليقة بريها وفاجرها بل ناطقها
وبهيمها وحقيقته هو ان يسوق الله لكل حيوان قوته الذي به
تصلح بنيته ويستقيم بدنه ولا بد لكل مخلوق من هذا الرزق وقد تكفل
الله به لكل دابة كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها اي فيوصل لها رزقها في اي مكان كانت
في ظلمات البحور او في جوف الارض والصخور او في العالم العلوي او السفلي
وهذا قد يكون باسباب منها وقد يأتي في بعض الاوقات بلا سعي من المخلوق
وقد يكون السبب مباحا وقد يكون محرما ولهذا قال المصنف لهذا يكون
من الحلال كما يكون من الحرام وربما ارزقه لهذا الاعتبار اي مع علمه انه
اوصل اليه بقضائه وقدره ما به يستقيم بدنه وان كان محرما يلام عليه فاعله
ولا يتعلق به امر الله بل هو منهي عنه وقوله وليس بالاطلاق اي وليس
لهذا الرزق الذي يكون من الحرام يسمى رزقا مطلقا بحيث يكون رزقا تاما
لا محذور فيه وانما يقال له مطلق الرزق ولهذا يعرف الجواب عن
السؤال المشهور اذا قيل لم لله على الفاجر نعمة ورحمة ولم انه الرزقه
ام لا فالجواب ان يقال اما النعمة المطلقة والرحمة المطلقة والرزق المطلق
فان لهذا مخصوص بالمؤمن المتبع لمرضاة الله فان لهذه الامور تكون
تامة حقه واما الكافر والفاجر فله منها نصيب مطلق لرحمة ومطلق الرزق
فانه لولا رحمته ورزقه لما وجد ولما استقام بدنه ولما حصل له ما يوافق

هواه

تعالى وفي كلام للصنوا شارة لرد قول من قال من المعتزلة وغيرهم ان
الحرام لا يسمى رزقا لوجود المتبعة فيه ولهذا قول فاسد معلوم بالادلة ان من
يغتذي بالحرام فاسد لم يرزق قط ولهذا مما دلت عليه النصوص وما
تقرر عند كافة بني آدم المثبتين لوجود الله فانهم متفقون على ان الله هو
الرزاق وحده كما انه الخالق وحده وانه ما من مخلوق يحيا من رزق قط
وقت من الاوقات ولكن الحرام لا يسمى رزقا مطلقا وانما هو مطعوم رزق كما تقدم

فصل

هذا وما اوصاف القيوم والقيوم في اوصاف امران
احدهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظيم لهكذا هو صوفه ايضا عظيم الشان
والحي يتلوه فاوصافا لهما لا فاق سماؤهما قصبان
فالحي والقيوم لن تستخلف اوصاف عنهما ببيان

اصلاح

هذا تفسير للحي القيوم وجمعهما في غاية المناسبة لان الله جمع بينهما
في غير اية كما قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم
وذلك لما قال المصنف مشتملان على جميع اوصاف الكمال ومتضمنان لذلك
فانك اذا اعطيت هذين الاسمين حقهما من المعنى لم يتخلف عن ذلك شيء
من الاسماء الحسنى والصفات العلى وبيان ذلك ان الحي هو صاحب الحياة
الكاملة التامة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه والحياة الكاملة
مستلزمة للسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة النافذة وسائر
الصفات الذاتية داخلة في مسمى الحياة واما الصفات الفعلية التي
يفعلها الباري مما يتعلق بنفسه كالاستواء على العرش والنزول
الى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين عباده والكلام وغير ذلك ومما يتعلق
بالمخلوقات كالخلق والرزق والاحياء والاماتة والرحمة وانواع التدابير
الالهية فانها داخلة في القيوم لان معنى كقيوم هو الذي قام بنفسه

بما له من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث كان مستغنيا عن غيره من جميع
الوجوه الذي قام بجميع المخلوقات في ايجادها واعدادها وامدادها
فكما لا وجود لها الا بالله فلا بقاء لها ولا صلاح الا به فهي مفتقرة اليه في جميع
شؤنها لا يمكن ان تستغني عنه طرفة عين ومن كمال قيوميته انه كامل القوة والقدرة
نافذ الارادة والمشيئة فعال لما يريد قام بنفسه وقام به من سواه
فالحياة تستلزم الصفات الذاتية والقيومية تستلزم الصفات الفعلية
قال المصنف رحمه الله في مدارج السالكين في منزلة الحياة في اثناء كلام له
فشهد قيام الكون كله بالله وقيامه سبحانه بنفسه فهو القائم بنفسه
المقيم لكل ما سواه فاذا ارتسخ قلبه في ذلك شهد الصفة الصحيحة لجميع صفات
الكمال وهي الحياة التي كمالها يستلزم كمال السمع والبصر والقدرة والارادة
والكلام وسائر صفات الكمال وصفة القيومية الصحيحة المصححة لجميع
الافعال فالحي القيوم معاله كل صفة كمال وهو الفعال لما يريد انتهى
هو قابض هو باسط لهو خافض هو رافع بالعدل والميزان
يعني انه القابض للارزاق والارواح والنفوس الباسط للارزاق والرحمة
والنفوس وهو الخافض لاقوام الرافع لاخرين وذلك كله عدل من الله
وحكمة يحمد عليه اتم الحمد واكمله قال تعالى والله يقبض ويبسط واليه ترجعون
وقال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فقبضه نعمة في حق
عباده المؤمنين لانه يمنعهم به من البغي والظلم والعدوان وقال تعالى الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقال تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان كان
تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدرا وقضاء فلا يمنع ان الكون
لهذه الامور باسباب من العباد متى قاموا بها حصلت لهم وهذا هو الواقع
فان الاسباب محل حكمته وسنته الجارية التي لا تبدل ولا تغير واذا كان
اعظم انواع رفعه رفعه لاوليائه الى اعلى عليين في محل قربه ودار كرامته فهذا
محال ان يدرك بدون الايمان والاعمال الصالحة كما قال تعالى وما اموالكم ولا
اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا الاية وقال تعالى

ان الابرار

ان الابرار لفي عليين فجعل استحقاقهم الاعلى الامكنة بسبب برهم فكل
قبض وبسط وخفض ورفع قدري او ديني فانه من الله تعالى الانفراد
بالتدبير وهذه من انواع التدبير والشؤون التي يصرفها بحسب حكمته وحمده

وهو المعز لمن يطاعه وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الدا رين ذل يشقى به ذو الهوان

يعني انه المعز لمن يشاء المذل من يشاء كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
والعز الحقيقي الذي هو عز ظاهر وباطن انما يكون بالقيام بطاعته
واتباع رسله والذل الحقيقي انما يكون بعدم القيام بطاعة الله فانه
وان وجد مع اهل المعاصي عز ظاهر وابهة دنيوية فان ذلك محشو بالذل
والهوان فقد يشعر به صاحبه وقد تغلب عليه سكرة فلا يشعر بذلك
كما قال الحسن رحمه الله في اهل المعاصي انهم وان طقطقت بهم البراذين
ولعبت بهم البغال ان ذل المعاصي قد علاهم ابى الله الا يذل من عصاه
قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم فالعاصي له الذل والشقاء في الدنيا
والاخرة قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى واما اهل العلم والايمان فان لهم العز والسعادة في الدنيا والاخرة
ولا يغتر بظاهر ما يعطاه المترفون في الدنيا ولا يقع في نفوسهم من ذلك
شيء كما قال اهل العلم والايمان لمن غبط قارون على ما اوتيه من زينة
الدنيا فقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وقال تعالى
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه اي من اراد العزة فانها كلها لله تعالى فليطلبها
بطاعة الله والعمل الصالح والكلم الطيب وقال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين

وهو مانع معطي فضله والمنع عن العدل للحنان
يعطي برحمته ويمنع من يشا بحكمة والله ذو سلطان

يعني انه تعالى المنفرد بالعطاء والمنع فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
فما اعطى فبمحض فضله واحسانه لا بسبب من العبد ولا بتقدم واسطة

وان منع فبمحض عدله وحكمته ومن اعظم عطائه عطاء الايمان
والتوفيق للاعمال الصالحة وليست بحول العبد وقوته بل بتوفيق الله ومنه
ولطفه بصنعها في المحل القابل لها الذي يصلح به ومنعها من المحل الذي لا يليق بها
ولا تصلح به ولا تزكو عليه وليس منع العبدة من التوفيق منافيا لجود السيد
حتى يكون ذلك ظلما وانما هو محض فضله يمنعه من ليس له بأهل كما قال ربنا
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو
اسمعهم لتولوا وهم معرضون والعطاء احب الى الله من المنع وقد فتح
للعباد من ابواب رحمته وخزائن جوده وعطائه كل باب ويسر لهم كل
طريق يوصل اليه وامرهم بسلوكها فمن سلكها حصل له من الجود
والعطاء ما لا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال ومن لم يسلكها بل سد دونه
ابوابها وسلك الطرق التي تفضي به الى الحرمان فلا يلومن الا نفسه

فصل

والنور من اسمائه ايضا ومن ... اوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابن مسعود كلاما قد ضحكا ... ه الدارمي عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا لها ... رقلت تحت العلك يوجد ذان
نور السموات العلى منه وزه ... والارض كيف الشمس والقمران
ما نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبراني
وبه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الاكوان
وكتابه نور كذلك سنة ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الايمان في قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشفوا الحجا ... ب لاحرقت سبحات الاكوان
واذا اتى للفصل يسري نوره ... في الارض يوم قيمة الابدان
وكذاك دار الرب جنات العلى ... نور تلألأ ليس ذا ابطلان
والنور ذو نوعين مخلوق وو ... صف بها والله متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين محسو ... س ومعقول لها سيان
احذر تذل فتحت رجلك نوره ... كم قد نهوض فيها على الاوطان

معاعابد

من يمشي بالجهل زلت رجله تهوي الى قعر الحضيض الدان
الجهل نار انوارها الهبا دة ظلها الانوار للرحمن
فاتى بكل مصيبة وبلية ما شئت من سطح ومن لهذيان
وكما الدليل الذي هو خدنه من لهمنا حقا لهما حزنان
ويقابل الرجلين ذو التعطيل ولـ ـيجد الكثيفة مالهما سيان
ذا في كثافة طبعه وظلامه وبظلمة التعطيل لهذا الثاني
والنور محجوب فلا هذا ولا هذا له من ظلمة بريان

بسط المصنف الكلام على النور في هذا الفصل لشدة الحاجة الى معرفته ومعرفة القرآن فيه وحاصل ما ذكره الامن اسمائه ومن اوصافه النور الذي استنارت به العوالم كلها فنور وجهه اشرقت الظلمات فيه استنار العرش والكرسي مع سبع الطباق وسائر الاكوان وكتابه نور ورسوله نور والايمان الذي في قلوب المؤمنين نور كما قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور اي نور الاعيان على نور القرآن على نور الفطرة وقال تعالى واشرقت الارض بنور ربها وهو سبحانه نور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه رواه مسلم وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود انه قال ان ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه الحديث ولهذا قال المؤلف قلت تحت الفلك يوجد ذات اي الليل والنهار لا يوجدان الا تحت الفلك الاسفل لانهما تبع لوجود الشمس وعدمها واما الملأ الاعلى والعالم العلوي ففي غاية السعة والنور

هي ورب الكعبة ح

وقوله وكذا كان دار الرب نورا تلا الأبيات والحديث الذي رواه بن ماجه عن
اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
الا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها نور تتلألأ وريحانة تهتز ونهر مطرد وقصر
مشيد وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة وفاكهة وخضرة وحبرة وحبرة في نعيم
في محل رفيع قالوا نعم نحن المشمرون لها فقال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله
ثم ذكر لهم قوله ان النور نوعان نور وصف لله ونور ما خلقه على نفسه
الكريمة في قوله الله نور السموات والارض وكما في قول النبي صلى الله عليه
وسلم اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا
والاخرة ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون وكما في قوله
احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اي لاحرق نوره وبهاؤه
جميع المخلوقات وكما في قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها فهذا
كله وصف لله تعالى وتذكر كتابه تعالى نور وكلامه صفة من صفاته
واما النور المخلوق فهو نوعان محسوس ومعقول فالمحسوس الذي
يدرك بالحواس ويرى عيانا فهو نور الحجاب ونور الشمس والقمر والكواكب
وعين هذه الانوار التي تدخل في قوله وجعل الظلمات والنور واما
النور الذي لا يدرك بالحس وانما هو معقول فهو نور الايمان وسراجه
الايقان ونور المعرفة وحقائق الذكر ونور المحبة فهذا نور معقول
يشرح الصدر ويجعل صاحبه في جنة معجلة لا يشبه ما شيء
ولهذا قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وقال تعالى مثل نوره كمشكوة الاية وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في قيام الليل وفي الخروج الى المسجد
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا
وعن شمالي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا وزدني نورا
فهذا النور يقوى بحسب المعرفة وقوة المحبة وكثرة الذكر الذي يتواطأ
عليه القلب واللسان وبحسب ما يقوم بالقلب من حقائق العبادات

ثم ذكر المصنف رحمه الله في هذا المقام من اعتراض
جهلة المتصوفة والمتعبدة ممن عملوا على الحقائق واجتهدوا في
التعبد فاستنارت بذلك قلوبهم وعظم الوارد عليها فظنوا بجهلهم
وخطائهم ان تلك انوار الصفات للذات المقدسة وتوهموا ان ما يجدونه
في اذهانهم موجود في الخارج والعيان فباحوا بالشطح والطامات
الكبرى وادعوا انهم يشاهدون الله حقا وربما وصلوا الى درجة الحلول
فظنوا ان الله حال فيهم ومتصل بهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
فالمتعبد ان لم يصحبه العلم والتمييز بين النور المخلوق وغيره طرق باب
الحلول والاتحاد وسبب ذلك قوة الوارد وضعف المورد وقلة العلم
فلهذا حذر المؤلف من هذا فقال احذر ان تنزل فتحت رحلك بصورة
اي صفة تهوي بصاحبها الى اسفل سافلين كم قد هوى فيها على الازمان
من عابد بالجهل زلت رجله فهوى الى قعر الحضيض الدان ثم ذكر السبب
في قوله لاحت له انوار العبادة ظنها الانوار للرحمن اي ظنها
نور ذات من جهله فاتى بكل مصيبة وبلية ماشئت من شطح ومن هذيان
وشطح كلام الغلو الذي يجعل للنفس منزلة ليست له بل ربما جعل
لها من خصائص الالهية شيئا وهذيان الكلام الذي لا اصل له بل هو
عين الباطل ثم قال وكذا الحلولي الذي يعتقد انه اي نظيره ومشبهه
من هذه الوجه فان المتعبد تعرض له هذه الامور في بعض الاوقات
وان كان اعتقاده الالزم مخالفا لذلك واما الحلولي فهو الذي يعتقد حلول
الاله تعالى الله عن قوله في بعض الاشخاص كدعوى النصارى حلوله
في عيسى بن مريم ودعوى غلاة الرافضة حلوله في بعض اهل البيت
ودعوى كثير من المتصوفة حلوله العام والخاص فكل هذا الخارج
عن الصراط المستقيم الذي دلت عليه الكتب ودعت اليه الرسل وكفور زندقة
فهو لا محالة من جهة الغلو ويقابل الرجلين اي جهلة المتعبدة
والحلولية رجلا ثالثا ان احدهما المعطل لصفات الله تعالى الذي ينفر
القلوب عن معرفة ربها ومحبته والانابة اليه فان اثبات الصفات
سبب طلبه وبعده سعي في تعطيلها وتحريفها ونفي حقائقها الثابتة

فهذا المحجوب عن الله بتعطيله والثاني صاحب الحجب الكثيفة وهو الذي
قد اعرض عن معرفة ربه وغفل عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا
قد اقبل على شهوات نفسه ولذة جسمه فقلبه معمور بالشهوات
مصدود عن حقائق العبادات فهذا بظلمة طبعه وشهوته ممنوع
من نور القلب والانس بربه والابتهاج بمحبته لا يصل اليه النور حتى
يفرغ قلبه من الشواغل الصادة عن مباشرة حقائق الايمان اليه
ثم يجعل محبة الله هي غايته ومقصوده وارادة وجهه هي منتهى طلبه
ويجاهد نفسه على خلقها بهذا الخلق الكامل ويستعين بربه ويلتجي اليه
فما خاب عبد امل جوده واحسانه وتسبب لذلك بما يصل اليه قدرته

فصل

وبعد المتقدم والمؤخر ذانك صفتان للافعال تابعتان
وهما صفات الذات ايضا ذهبا بالذات لا بالغير قائمتان
ولذا ذكر قد غلط المقسم حين ضمن صفاته نوعين مختلفان
اذ لم يرد بهذا ولكن قد اراد قيامها بالفعل في الامكان
والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم انهما شيئان
فلذا ذكر وصف الفعل ليدل به لا لنسبة عدمية بيان
فجميع اسماء الفعل ليست قط ثابتة ذوات فعلنا
موجودة كذا امور كلها نسب تري عدمية الوجدان
هذا هو التعطيل للافعال كالتعطيل للوصف بالميزان
فالحق ان الوصف ليس بمورد التقسيم لهذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالذات التي للواحد الرحمن
فهما اذا نوعان اوصاف وافعال فهذي قسمة كسبان
فالوصف بالافعال يدعى قياما من الفعل بالموصوف بالاركان
كالوصف بالمعنى سوى الافعال ما ان بين ذينك قط من فرقان
وعلى الجملة انهم ردوا على ما اثبت الاسماء والاعيان
قامت بمن هي وصفه لهذا الحا كم غير معقول لذي الاذهان
واتوا الى الاوصاف بالاسم الذي قا م تقم بالواحد الديان
فانظر

ناظر اليهم ابطلوا الاصل الذي ردوا به اقوالهم بوزان
ان كان ذلك ممكنا فكذلك قو لخصومكم ايضا فذوا مكان
والوصف بالتقديم والتاخير كوني ودينى نوعان
كل امر حقيقي ونسبي والاخفى المثال على اولي الاذهان
والله قد ذاك جمعه باحكام واتقان من الرحمن
حاصل ما ذكره المصنف في تفسير المقدم المؤخر انه المقدم لمن يشاء من خلقه
المؤخر له والتقديم والتاخير نوعان كوني قدري ودينى شرعي
فالاول متعلق بقدر الله وحكمته والثاني برحمته وقدرته وحكمته
فالاول لابد على رضاه ومحبته والثاني يدل على ذلك وحاصل الاول انه
المقدم لبعض مخلوقاته على بعض في الخلق والرزق والتدبير المؤخر لهما في
ذلك وحاصل الثاني انه المقدم بعض عباده على بعض في العلم والايمان والفضائل
الدينية وثواب ذلك وكل من التقديم والتاخير حقيقي ونسبي فالحقيقي
ما يكون المخلوق مقدما مطلقا او مؤخرا مطلقا كونا او دينا والنسبي
ما يكون ذلك بالنسبة الى ما دونه والى ما فوقه وقول المؤلف الاخفى المثال
على اولي الاذهان اما التقديم والتاخير النسبي فظاهر في الكوني والديني
كتقديم الاب على الولد وتقديم بعض القرى على بعض وتاخرها عما قبلها
وكتقديم موسى في الفضل على عزير من الخلق وسوى محمد وابراهيم وتاخره
عنهما وكتقديم من فضل غيره بصفة دينية على الفضول وتاخره
عن الفاضل واما التقديم والتاخير الحقيقي الديني فظاهر فانه على
الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم مقدم بالفضل على سائر الخلق وليس
على الاطلاق مؤخر على سائر الخلق فانه سر الخليقة قطعا واما
التقديم والتاخير الكوني الحقيقي فهذا لا يدري مثاله الا الله تعالى
لانا لا نعلم ما اول ما خلق الله مطلقا ولا ندري اخر ما يخلق الله تعالى
بل لا سبيل لاحد من الخلق الى علم ذلك لان الله لم يزل ولا يزال فعلا
لا مبتدا لذلك ولا منتهى فلا يحيط احد من الخلق بشيء من ذلك
ثم ذكر المصنف رحمه الله ان المقدم والمؤخر من صفات الافعال

وذكر الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية وانها كلها تشترك في قيامها
بالله تعالى لا فرق في ذلك بين الصفات الذاتية كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحوها
وبين الصفات الفعلية كالاستواء والنزول والكلام والخلق ونحو ذلك فكلها
قائمة بالله تعالى لاستحالة وجود الفعل من غير ان يتصف به الفاعل لهذا المحال عقلا
ونقلا ولغة فكيف يضيف تعالى الى نفسه فعلا وهو قائم بغيره هذا ما يطل الباطل
ولكن الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية من جهة ان الصفات الذاتية
لا تنفك عنها بوقت ولا حال من الاحوال كالعلم الذي لا يمكن ان يفارقه بحال
وكالقدرة والغنى الذي هو من لوازم ذاته وكالعلو على المخلوقات ونحو ذلك
واما الصفات الفعلية فضابطها هو كل صفة تعلقت بقدرته ومشيئته
التي ان شاء فعلها وان شاء لم يفعلها على حسب ما تقتضيه الحكمة الربانية
ويعبر عنها بالافعال الاختيارية اي المتعلقة بارادته واختياره فقال
وذلك كالكلام فانه لم يزل ولا يزال متكلما اذا شاء وكيف شاء لا يخلو وقت
من الاوقات السابقة والاوقات اللاحقة التي لا منتهى لها ولا غاية الا وهو
موصوف بانه متكلم بما شاء وكلماته الدينية وكلماته القدرية بدليل
ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مدادا
فكتب بتلك الاقلام وذلك المداد لنفدت ولم تنفد كلمات الله اذ هي غير مخلوقة
ولا متناهية وكذلك الخلق والتدبير والاحسان لم يزل تعالى بذلك موصوفا
وبالاحسان معروفا ولا يزال كذلك ويدل على ذلك كلما ورد في الكتاب
والسنة من انه قال كذا او يقول كذا او فعل كذا او يفعل كذا مما لا يحاط بذكره
لكثرته وانتشاره ويدل على ذلك عقلا انه قد تقرر انه تعالى كامل
القدرة فاذا المشيئة لم يزل ولا يزال كذلك وما كان كامل القدرة
تام الارادة فكيف يخلو وقت من الاوقات ان يكون معطلا عن فعله
وكلامه المترتب على ذلك وقد تقرر ايضا انه الكامل من جميع الوجوه
لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه ومن المعلوم ان الكمال انما يكون
بالتصافه كل وقت انه يقول ويفعل ما يشاء فانا لو فرضنا انه يكون
معطلا في وقت من الاوقات عن افعاله لكان ذلك نقصا تعالى عنه الرب

العظيم

العظيم الكامل في ذاته واوصافه وافعاله فهذا التقسيم بين صفات
الذات وصفات الافعال هو الحق الذي تدل عليه الادلة والبراهين
فليس الوصف موردا التقسيم فانها كلها قائمة بالله قد اتصف
بها واما مورد التقسيم ما قد قام بذات الله من الصفات الازلية
التي لا ينفك عنها ابدا والصفات المتعلقة بقدرته ومشيئته وهي
الصفات الفعلية ثم انكر المصنف على من قسمها غير هذا التقسيم من
ما ينتسب الى الاشعري وغيره من اهل الكلام ان لم يرد ما ذكره من
هذا التقسيم بل اراد ان صفات الافعال لم تقم بالله ولم يتصف
بها وزعم ان ذلك يقتضي حلول الحوادث في ذات الله فنفى بهذا
اللفظ كل صفة فعلية فانكر والاستواء على عرشه ونزوله الى السماء
الدنيا وافعاله التي يوجدها شيئا فشيئا وبنى على هذا ان الكلام
عبارة عن المعنى النفسي القديم الذي لا يعقل ولا يقع ان يكون متكلما
في كل وقت بما شاء واذا شاء وهذا التعطيل لافعال الله نظير تعطيل
الجهمية وسائر اتباعهم لجميع صفات الله الذاتية والفعلية ولا فرق
بين الامرين ولهذا تعجب المصنف من الاشعري الذي اثبت الصفات
الذاتية وانكر واغاية الانكار على الجهمية الذين اثبتوا الاسماء دون المعاني
والصفات وحقيق بهم ان ينكر وا عليهم فان اثبات الاسماء دون المعاني باطل
عقلا ونقلا ولكن الاشعرية نقضوا اصلهم الذي ردوا به على الجهمية في
صفات الافعال وعطلوا الافعال التي وصف الله بها نفسه ووصفه
بها رسوله فناقضوا في هذا الاصل فاستطالت عليهم الجهمية بما
سلموه لهم من الاصل الذي نفوا به الافعال لله وقالوا الفعل هو المفعول
في نصوص الكتاب والسنة ونزلوها على هذا الاصل الذي اصلوه
وهو ان الفعل هو المفعول وهذا باطل في الشرع لمنافاته له فاسد في
العقل لانه محال ان يوجد مفعول من دون فعل متصف به الفاعل
ولهذا الزمهم المؤلف انه ان كان قولكم هذا ممكنا على الفرض والتقدير
فكذا قول خصومكم الجهمية في اصلهم الذي ردوا به صفات الله يكون ممكنا

وان كان قول خصومكم باطلا فقولكم ايضا باطل اذ لا فرق بينهما بوجه من الوجوه
وقول المؤلف في حكايته لقول هذه الطائفة فلذلك الرجل ان الفعل والمفعول
شيء واحد عندهم ليس وصف الفعل عندهم الا نسبة عدمية الوجود اي يتسب
اليه ما بلفظ وهي مفقودة فيه وبعكسه سائر صفات الافعال وهل اعظم من هذا
التعطيل وابطل من قول يلزم منه تعطيل الافعال وفاعلها وتعطيل الكلام عن
المتكلم فيه فالوصف بالفعل يستدعي قيامه بالموصوف قطعا والذي اوجب
لهذه الطائفة النافية لصفات افعاله انهم ظنوا ان اثباتها يقتضي الحدوث
لها فاذا كانت حادثة كان من قامت به حادثا ايضا وهذا عندهم لازم لاثباتها
فانه لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة الكاملة على الاقوال والافعال ومشيئته
ايضا نافذة لا مانع لها بوجه من الوجوه وحدوث افعاله واقواله بمشيئته
فمشيئته لا محذور فيه بل هو الكمال كما تقدم قال شيخ الاسلام رحمه الله
وما قوله القائل لو قامت به الافعال لكان محلا للحوادث والحادث ان لم يوجد
له كمال فقد عدمه قبله وهو نقص وان لم يوجد له كمال لم يجز وصفه بها
فيقال اولا هذا معارض بنظيره من الحوادث التي يفعلها فانه كما لها حادث
بقدرته ومشيئته وانما نفرق ان في المحل وهذا التقسيم وارد على الجهمي
وان قيل في الفرق المفعول لا يتصف بخلاف الفعل القائم به قيل في الجواب
بل هم يصفونه بالصفات الفعلية ويقولون الصفات الفعلية وفعلية ونفسية
فيصفونه بكونه خالقا رازقا بعد ان لم يكن كذلك وهذا التقسيم وارد عليهم
وقد اورده عليهم الفلاسفة في مسالة حدوث العالم فزعموا ان صفات الافعال
ليست صفات كمال ولا نقص فيقال لهم كما قالوه لهم في الافعال التي تقوم به
انها ليست كمالا ولا نقصا فان قيل لا بد ان يتصف اما بنقص او كمال قيل
ولا بد ان يتصف من الصفات الفعلية اما بنقص واما بكمال فان جاز
خلو احدهما عن القسمين امكن الدعوى في الاخر مثله والا فالجواب مشترك
واما المتفلسفة فيقال لهم القديم تحله الحوادث ولا يزال محلا للحوادث
عندكم فليس القدم مانعا من ذلك عندكم بل عندكم هذا هو الكمال الممكن
الذي لا ممكن غيره وانما نفوه على واجب الوجود لظنهم انتقاضه به وقد
نبه على بطال قولهم في ذلك لا سيما وما قامت به الحوادث المتعاقبة
يمتنع وجوده عن علة تامة ازلية موجبة لمعلولها فان العلة التامة
الموجبة يمتنع ان يتاخر عنها معلولها وشيء من معلولها وما تاخر عنها

شيئ من معلولها كانت علة له بالقوة لا بالفعل واحتاج مصيرها علة بالفعل
الى سبب اخر فان كان المخرج لها من القوة الى الفعل غيرها هو نفسه صار فيه ما فيها بالقوة
ويحتاج المخرج له الى الفعل وذلك يستلزم ان يكون قابلا وفاعلا وهم يمنعون ذلك لامتناع
الصفات التي يسمونها التركيب وان كان المخرج له غيره كان ذلك ممتنعا بالاتفاق لان ذلك
ينافي وجوب الوجود ولانه يتضمن الدور المعي والتسلسل في المؤثرات وان كان هو الذي
صار فاعلا منه بعد ان لم يكن امتنع ان يكون علة تامة ازلية فقدم شيئ من العالم
يستلزم كونه علة تامة في الازل وذلك يستلزم ان لا يحدث عنه شيئ بوسط وبغير
وسط وهذا مخالف للمشهود ويقال ايضا ثانيا في ابطال قول من جعل حدوث الحوادث
ممتنعا لهذا منقوض بما يتجدد من الاضافات والاحوال والاعدام فان الناس متفقون
على تجدد هذه الامور وفرق الامدي وغيره بينهما من جهة اللفظ فقال لهذه حوادث
ولهذه متجددات والفرق اللفظية لا تؤثر في الحقائق العلمية فيقال تجدد هذه
المتجددات ان اوجب لها كمالا فقد عدمه قبله ونقص وان لم يوجب له كمالا
لم يكن وصفه به ويقال ثالثا الكمال الذي يجب اتصافه به هو الممكن الوجود واما
الممتنع فليس من الكمال الذي يتصف به موجود والحوادث المتعلقة بقدرته ومشيئته
يمتنع وجودها جميعا في الازل فلا يكون اتفاقها في الازل نقصا لان اتفاق الممتنع ليس
بنقص ويقال رابعا اذا قدر ذات تفعل شيئا بعد شيئ وهي قادرة على الفعل بنفسها
وذات لا يمكنها ان تفعل بنفسها شيئا بل هي كالجماد الذي لا يمكنه بحال ان يتحرك
كانت الاولى اكمل من الثانية فعدم هذه الافعال نقص بالضرورة اما وجودها بحسب
الامكان فمحض الكمال ويقال خامسا لا نسلم ان عدم هذه مطلقا نقص والكمال
ولا وجودها مطلقا نقص والكمال بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته
وقدرته وحكمته وجودها هو الكمال ووجودها بدون ذلك نقص وعدمها
مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال ووجودها حين اقتضت الحكمة وجودها
هو الكمال واذا كان الشيئ الواحد يكون وجوده تارة كمالا وتارة نقصا فكذلك
عدمه بل التقسيم المطلق وهذا كما ان الشيئ يكون رحمة بالخلق اذا احتاجوا
اليه كالمطر ويكون عذابا اذا ضرهم فيكون انزاله عند حاجتهم رحمة واحسانا
والمحسن الرحيم متصف بالكمال ولا يكون تركه انزاله حيث يضرهم نقصا بل هو ايضا
رحمة واحسان فهو محسن بالوجود حيث كان رحمة وبالعدم حيث كان
العدم رحمة انتهى كلامه رحمه الله وقد بسطنا هذا بالدليل العقلي مما به
يتبين به الحق المبين فجزاه الله خيرا واحسن اليه الجزاء والمقصود انه تبارك
وتعالى هو المقدم المؤخر قدر وسوى ما تقدم وتاخر تابعا لحكمته وحمده وقال

فصل

اعلم ان المصنف رحمه الله قد استوفى معظم اسماء الاسماء الحسنى المذكورة
في الكتاب وما لم يذكره منها فانه ذكر نظيره او ما يدل عليه فيستلزمه
فانه لم يذكر المتين وهو في معنى القوي القدير ولم يذكر الاعلى وهو في معنى العلي
ولم يذكر الرحمن الرحيم الكريم الرؤف وهي في معنى البر الجواد الوهاب ولم يذكر
الرب والله والملك لما لك وقد ذكر في البدائع انها متضمنة لكثير من الاسماء الحسنى
فقال الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع
البصير المحسن المنعم الجواد المعطي النافع الضار المقدم المؤخر الذي يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وليسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويعز من يشاء ويذل
من يشاء الى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الاسماء
الحسنى واما الملك فهو الامر الناهي المعز المذل الذي يصرف ما في عباده
كما يحب ويقلبهم كما يشاء وله من معنى الملك ما يستحقه من الاسماء الحسنى
كالعزيز الجبار المتكبر الحكم العدل الخافض الرافع المعز المذل العظيم الجليل
الكبير الحسيب المجيد العالي المتعالي مالك الملك المقسط الجامع والغير ذلك من
الاسماء العائدة الى الملك واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال
ونعوت الجلال فقد دخل في هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول
الصحيح ان الله اصله الاله كما هو قول سيبويه وجمهور اصحابه الا ما شذ
منهم وان اسم الله تبارك وتعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى
والصفات العلى فقد تضمنت هذه الاسماء الثلاثة جميع معاني اسمائه
الحسنى انتهى

فصل

هذا وما اسمائه ما ليس يفرد بل يقال اذا اتى بقران
وهي التي تدعى بمزدوجاتها افرادها خطر على الانسان
اذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي والضار الذي هو نافع وكامل الامران
ونظير هذا القابض المعروف باسم الباسط اللفظان مقترنان
وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان من دوحان
وحديث افراد اسم ينتقم هو قول من قد قال ذو البرهان
ما جاء في القرآن غير مقيد بالجر هذا وهاك دونكان

قال المصنف في بدائع الفوائد اسماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا
ومقترنا بغيره وهو غالب الاسماء كالقدير والسميع والبصير والعزيز
والحكيم وهذا يسوغ ان يدعى به مفردا ومقترنا بغيره فتقول يا عزيز
يا حكيم يا غفور يا رحيم وان يفرد كل اسم وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه
به يسوغ لك الافراد والجمع ومنها ما لا يطلق عليه مفردا بل مقرونا بمقابله
كالمانع والضار والمنتقم فلا يجوز ان يفرد هذا عن مقابله فلا مقرونا
بمقابله كالمانع والضار والمنتقم فلا يجوز ان يفرد هذا عن مقابله
فانه مقرون بالمعطي والنافع والعفو فهو المعطي المانع الضار النافع
العفو المنتقم المعز المذل لان الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله
لانه يراد به المتفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا
ونفعا وضرا وعفوا وانتقاما واما يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار
فلا يسوغ فهذه الاسماء المزدوجة يجري الاسمان منها مجرى الاسم الواحد
الذي يمتنع فصل احدوجه عن بعض فهي وان تعددت جارية مجرى الاسم
الواحد ولذلك لم يجيء مفردة ولم تطلق عليه الا مقترنة فاعلمه فلو قلت
يا مذل يا ضار يا مانع او خبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا
له حتى تذكر مقابله هذا كلامه رحمه الله ونقول شرح لهذه الابيات التي ذكرها لنا
وقوله لم تطلق عليه الا مقترنة ولهذا قال وحديث افرادهم منتقم فموقوف
كما قاله اهل المعرفة فان الثابت في الصحيحين ان لله تسعة وتسعين اسما من
احصاها دخل الجنة ولم يعد دها وانما ذكرت في رواية الترمذي مرفوعة
وموقوفة والموقوف اصح فاذا كان موقوفا لم ينقض هذه القاعدة واما
مجيئ المنتقم في القرآن فانه لم يطلق عليه اطلاقا وانما قيده الله بالانتقام
من المجرمين في قوله انا من المجرمين منتقمون وجاء في القرآن بلفظ ذو انتقام
يحتمل انه في موضعين ويحتمل انه نوعان اي نوع مقيد بالمجرمين ونوع لم يقيد بذلك
كما في قوله ان الله عزيز ذو انتقام وقال تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والله
عزيز ذو انتقام وقال تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم وقال فانتقمنا من
الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين

فصل

ودلالة الاسماء انواع فلا ... ث كلها معلومة ببيانات
دلت مطابقة لذا كر ضمنا ... وكذا التزاما واضح البرهان
اما مطابقة الدلالة فهي ان ... الاسم يفهم منه مفهوما
ذات الاله وذلك الوصف الذي ... يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالته على احد هما ... بتضمن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالته على الصفة التي ... ما اشتق منها فالتزام دان
واذا اردت لذا مثالا بينا ... فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الاله ورحمة مدلولها ... فهما لهذا اللفظ مدلولان
احد هما بعض لذا الموضوع فهي ... تضمن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك ال ... معنى لزوم العلم للرحمن
فلذا دلالته عليه بالالـ ... ـتزام بين والحق ذو تبيان

لهذه القاعدة التي ذكرها المصنف ليست خاصة بدلالة الاسماء الحسنى على معانيها بل عامة في جميع الالفاظ فالنسبة بدلالاتها وضابطه ذلك ان الدلالة نوعان لفظية وعقلية فاللفظية اما ان تعطي الالفاظ كلها تناولته من المعاني والاوصاف فتسمى دلالة مطابقة لان اللفظ طابق المعنى من غير زيادة ولا نقص واما ان تعطي الالفاظ بعض ما تناولته من المعاني فتسمى دلالة تضمن لان المعنى بعض اللفظ وداخل في ضمنه واما الدلالة العقلية فهي خاصة العقل والفكر لعدم دلالة اللفظ بمجرده عليها وانما ينظر العقل في ذلك المعنى الذي دل عليه اللفظ وما يلزمه من المعاني الخارجية وما يشترط له من الشروط التي لا يتم بدونها فهذه قاعدة اصولية تجري في جميع الالفاظ وتعتبر في كل موضع وذكر المصنف لنا منها ما يتعلق بالاسماء الحسنى فاعلم ان الاسم من اسمائه الكريمة اذا دل على الذات الالهية والوصف الذي اشتق منها فدلالته دلالة مطابقة واذا دل على احد الامرين اما الذات وحدها او الصفة وحدها فدلالته دلالة تضمن واذا دل على صفة اخرى لازمة لما دل عليه فدلالته التزام ومثال ذلك من الاسماء الحسنى لفظة الرحمن فان دلالة

على

على ذات الاله وعلى رحمته كالواسعة دلالة مطابقة ودلالته على الذات
وحدها او على الرحمة وحدها دلالة تضمن ودلالته على الحياة الكاملة
وعلمه المحيط دلالة التزام لانه لا تتحقق الرحمة من دون حياة الراحم وعلمه
بحال المرحوم وما يوصل اليه من الرحمة وكذلك ما تقدم من استلزام الملك جميع
صفات الملك الكامل الذي لا يتم بدونها واستلزام الرب جميع صفات الربوبية
واستلزام الاله جميع صفات الالهية وكذلك سائر اسمائه الحسنى يستلزم عدة اوصاف
كالكبير والعظيم والمجيد والصمد وحيث ذكر المصنف هذه القاعدة المتعلقة
باسمائه الحسنى فلنضف الى ذلك عدة قواعد تتعلق بالاسماء والصفات تتميما
للفائدة ذكرها في بدائع الفوائد قال رحمه الله فائدة جليلة
ما يجري صفة او خبرا على الرب تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى نفس
الذات كقولك ذات وموجود والثاني ما يرجع الى صفاته ونعوته كالعليم
والقدير والسميع الثالث ما يرجع الى افعاله كالخالق والرازق الرابع ما يرجع الى
التنزيه المحض ولا بد من تضمنه نفيا اذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام
الخامس ولم يذكره اكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة او صاف عديدة لا يختص
بصفة معينة بل دال على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد فان المجيد
ما اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فانه موضوع للسعة
والكثرة والزيادة ومنه استمجد المرخ والعفار وامجد الناقة علفا ومنه رب العرش المجيد
صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة
من الله على رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم لانه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة
العطاء وكثرته ودوامه فاتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول اغفر لي وارحمني
انك انت الغفور الرحيم ولا تحسن انك انت السميع البصير فهو لاحق بالسؤال بما
باسمائه وصفاته وهو من اقرب الوسائل واصحها الى الله ومنه الحديث الذي في المسند
والترمذي ياذا الجلال والاكرام ومنه اللهم اني اسالك بانك الحمد لا اله الا انت
المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام فهذا سؤال له وتوسل اليه بتوحده
وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسمائه وصفاته وما احق ذلك بالاجابة
واعظم موقعا عند المسؤل ولهذا باب عظيم من ابواب التوحيد اسرفنا اليه اشارة
وقد فتح لمن يسره الله فلنرجع الى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات
عديدة فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد

الاستلزام

قلت وقد تقدم وجه ذلك في الصمد ثم قال السادس صفة تحصل من اقتران احد الاسمين والوصفين بالاخر وذلك قد دل الله على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير الحميد المجيد وهكذا غاية الصفات المقترنة والاسماء المزدوجة في القرآن فان الغفور صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال اخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك الغفور القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فانه من اشرف المعارف وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في اوصافه تعالى الا ان تكون متضمنة لثبوت كالاحد المتضمن لانفراده بالربوبية والالهية وكلام المتضمن لبرائته من كل نقص يناقض كماله وكذلك الاخبار عنه بالسلوب فانها تضمنت ثبوتا كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته وكذلك قوله تعالى وما مسنا من لغوب متضمن لكمال قدرته وكذلك وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء متضمن لكمال علمه وكذلك قوله تعالى لم يلد ولم يولد متضمن لكمال احديته وغناه وكذلك قوله ولم يكن له كفوا احد متضمن لتفرده بكماله وانه لا نظير له وكذلك قوله لا تدركه الابصار متضمن لعظمته وانه جل ان يدرك بحيث يحاط به ولهذا مطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب ويجب ان يعلم لهنا امورا احدها ان ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى اوسع مما يدخل في باب اسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فان هذا يخبر به عنه ولا يدخل في باب اسمائه الحسنى وصفاته العلى الثاني ان الصفة اذا كانت منقسمة الى كمال ونقص لم تدخل مطلقها في اسمائه بل يطلق عليه منها كمالها ولهذا كالمريد والصانع والفاعل فان هذه الالفاظ لا تدخل في اسمائه ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الاطلاق بل يقع الفعال لما يريد فان الارادة والفعل والصنع منقسمة ولهذا انما اطلق على نفسه من ذلك كمله فعلا وخبرا الثالث انه لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل عند مقيد ان يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتاخرين فجعل من اسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله فان هذه الاسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا افعال مخصوصة معينة فلا يجوز ان يسمى باسمائها المطلقة الرابع ان اسماءه الحسنى هي اعلام واوصاف والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف اوصاف العباد فانها تنافي علميتهم لان اوصافهم مشتركة ففائدتها العلمية المختصة بخلاف اوصافه تعالى الخامس ان الاسم من اسمائه له دلالات دلالة على الذات والصفة بالمطابقة ودلالة على احدهما بالتضمن

بالتضمن ودلالة على الصفة الاخرى بالمرصوم السادس ان اسماءه الحسنى
لها اعتباران اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات فهي بالاعتبار
الاول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة السابع مايطلق عليه في باب
الاسماء والصفات توقيفي ومايطلق عليه في الاخبار لايجب ان يكون توقيفيا
كالقديم والشيئ والموجود والقائم بنفسه فهنا فصل الخطاب في مسالة
اسمائه تعالى انها توقيفية او يجوز ان يطلق عليه منها مالم يرد به السمع
الثامن ان الاسم اذا اطلق عليه جاز ان يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه
فعلا ومصدرا نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة
ويخبر عنه بالافعال من ذلك نحو قد سمع الله قد رأى فنعم القادرون هذا
ان كان الفعل متعديا فان كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه
الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حيي التاسع ان افعال الرب تعالى صادرة
عن اسمائه وصفاته واسماء المخلوقين صادرة عن افعالهم فالرب تعالى فعاله عن
كماله والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الاسماء بعد الاكمل بالفعل والرب تعالى
لم يزل كاملا فحصلت افعاله عن كماله لانه كامل بذاته وصفاته فافعاله صادرة
عن كماله كمل ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به العاشر احصاء الاسماء
الحسنى والعلم بها اصل للعلم بكل معلوم فان المعلومات سواه اما ان تكون خلقا
له تعالى او امرا اما علم بما كونه او علم بما شرعه ومصدر الخلق والامر
عن اسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضي بمقتضيه فالامر كله
مصدره عن اسمائه الحسنى ولهذا كله حسن لايخرج عن مصالح العباد وكمال رأفة
ورحمة بهم والاحسان اليهم بتكميلهم بما امرهم به ونهاهم عنه فامره كله مصلحة
وحكمة ورحمة ولطف واحسان اذ مصدره اسماؤه الحسنى وفعله كله لايخرج
عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة اذ مصدره اسماؤه الحسنى فلا تفاوت
في خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه باطلا ولا عبثا سدى ولا عبثا وكما ان كل
موجود سواه فبايجاده فوجود من سواه تابع لوجوده فالعلم باسمائه
واحصاؤها اصل لسائر العلوم فمن احصى اسماءه كما ينبغي للمخلوق احصى
جميع العلوم اذ احصاء اسمائه اصل لاحصاء كل معلوم لان المعلومات
هي مقتضياتها ومرتبطة بها وتأمل صدور الخلق والامر عن
علمه وحكمته تعالى ولهذا لاتجد فيها خللا ولا تفاوتا ولا الخلل الواقع

فيما يأمر به العبد او يفعله اما ان يكون لجهله به او لعدم حكمته واما الرب تعالى
فهو العليم الحكيم فلا يعزب فعله ولا امره خلل ولا تفاوت ولا تناقض الحادي عشر
ان اسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم عن ذلك اصلا وقد تقدم ان من اسمائه ما يطلق
عليه باعتبار الفعل نحو الخالق الرازق والمحيي والمميت وهذا يدل على ان افعاله كلها
خيرات كلها محضة لا شر فيها لانه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن
اسماؤه كلها حسنى وهذا باطل فالشر ليس اليه فلا يدخل في صفاته ولا يلحق
ذاته فلا يدخل في افعاله فالشر ليس اليه لا بصفة ولا فعل وانما
يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعوله المباين له
لا بفعله الذي هو فعله فتأمل هذا فانه خفي على كثير من المتكلمين وزلت فيه اقدام
وضلت فيه افهام وبهذا اهتدى اهل الحق لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم الثاني عشر في بيان مراتب احصاء اسماء الله تبارك وتعالى
التي من احصاها دخل الجنة هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح
المرتبة الاولى احصاء الفاظها وعددها المرتبة الثانية فهم معانيها ومدلولها
المرتبة الثالثة دعاؤه بها كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
ويقع بتبنان احدهما دعاء ثناء وعبادة والثاني دعاء طلب ومسالة والاول
علية الاقسام بسمائه الحسنى وصفاته العلى ولذلك لا يسال الا بها فلا يقال يا موجود
اعطني شيئا او يا ذات اغفر لي وارحمني بل يسال في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا
لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا اليه بذلك الاسم ومن تامل ادعية الرسل
ولا سيما خاتمهم وامامهم صلوات الله وسلامه عليهم وجدها مطابقة لهذا الاصل
الثالث عشر اختلف النظار في الاسماء التي يطلق عليه وعلى عباده كالحي
والسميع والبصير والعليم والعزيز والملك ونحوها فقالت طائفة هذا المتكلمين
هو حقيقة في العبد مجاز في الرب وهذا قول غلاة الجهمية وهو خبث الاقوال
الثاني في مقابله وهو انها حقيقة في الرب مجاز في العبد وهذا قول ابي العباس
الناشي الثالث انها حقيقة فيهما وهذا قول الاكثرين وهو الصواب
واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما والرب تعالى منها
ما يليق بجلاله وللعبد منها ما يليق به وليس لهذا موضع التعرض لما حد هذه
الاقوال وابطال باطلها وتصحيح صحيحها فان الغرض الاشارة الى امور ينبغي

معرفتها

معرفتها في هذا الباب ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرا واكثر
الرابع عشر ان الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات اعتبار من
حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب او بالعبد الاعتبار الثاني اعتباره مضافا
الى الرب مختصا به الثالث اعتباره مضافا الى العبد مختصا به فما لزم الاسم لذاته
وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد وللرب منه ما يليق بجلاله وللعبد ما يليق به
وهذا كاسم السميع الذي يلزمه ادراك المسموعات والبصير الذي يلزمه
رؤية المبصرات والعليم والقدير وسائر الاسماء فان شرط صحة اطلاقها حصول
معانيها وحقائقها للموصوف بها كما لزم لهذه الاسماء لذاتها فانباتها للرب تعالى
لا محذور فيه بوجه بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا ينافيهم عن
نفاه عنه لاطلاقه على المخلوق الحدي في اسمائه وجحد صفات كماله ومن اثبته
على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه ومن شبه الله بخلقه فقد كفر
ومن اثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته
فقد برئ من اقرب التشبيه ودم التعطيل وهذا طريق اهل السنة وما لزم
الصفة لاضافتها الى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم صفة العبد من النوم
والسنة والحاجة الى الغذاء ونحو ذلك وكذلك ما يلزم الارادة من حركة النفس
في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به وكذلك ما يلزم من علوه من
احتياجه الى ما يعلو عليه وكونه محمولا به مفتقرا اليه محاطا به كل هذا يجب
نفيه عن الله وسلام يتبارك ويتعالى وما لزم الصفة من جهة اختصاصه
يتعالى بها فانه لا يثبت للمخلوق بوجه لعلمه الذي يلزمه العدم والوجوب
والاحاطة بكل معلوم وقدرته وارادته وسائر صفاته فان ما يختص
به منها لا يمكن اثباته للمخلوق فاذا اصلت هذه القاعدة حذرا وعلمها
كما ينبغي خلصت من الافتين اللتين هما اصل بلاء المتكلمين افة التعطيل
وافة التشبيه فانك اذا وقفت هذا الكلام حقه من التصور اثبت لله الاسماء
الحسنى والصفات العلى حقيقة فخلصت من التعطيل ونفيت عنها
نقائص المخلوقين ومشابهتهم فخلصت من التشبيه فتدبر هذا الموضع
واجعله اختيك التي ترجع اليها في هذا الباب والله الموفق للصواب
الخامس عشر ان الصفة متى قامت بموصوف لزمها اربعة امور احدها

لفظيان واسمان معنويان فاللفظيان ثبوتي وسلبي فالثبوتي ان يشتق
للموصوف منها اسم والسلبي ان يمتنع الاشتقاق لغيره والمعنويان ثبوتي
وسلبي فالثبوتي ان يعود حكمها الى الموصوف ويخبر بها عنه والسلبي ان لا يعود
حكمها الى غيره ولا يكون اخبارا عنه ولهذه قاعدة عظيمة في معرفة الاسماء والصفات
فلنذكر من ذلك مثالا واحدا وهي صفة الكلام فانها اذا اقامت بمحل كان هو المتكلم
دون من لم تقم به واخبر عنه بها دون غيره فيقال قال وامر ونهى
ونادى وناجى واخبر وخاطب وتكلم وكلم ونحو ذلك واشتقت لهذه الاحكام لغيره
فيستدل بهذه الاحكام والاسماء على قيام هذه الصفة به وسلبها عما لغيره على عدم
قيامها به وهذا اصل اهل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من اصح
الاصول اطرادا وعكسا السادس عشر ان الاسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا
تحد بحد الخ ما ذكره مما تقدم مضمونه ومما سيأتي له تتمة في الفصل بعده

فصل في بيان حقيقة الالحاد في اسماء رب العالمين وذكر اقسام الملحدين

والمقصود من هذا الفصل حفظ اسماء الله واوصافه عن ان تحرف او تغير
او ينقص منها شيء او يبخس من كمال شيء من اوصافه او تعطل او تمثل
ولهذا ذكر الاصل الجامع في هذا بقوله

اسماؤه اوصاف مدح كلها ... مشتقة قد حملت لمعان

يعني ان اسماءه كلها اوصاف مدح وحمد وثناء وهي مشتقة من معانيها
ثابتة له حقائقها لدلالتها كانت حسنى فلو كانت اعلاما محضة لم تكن
حسنى ولو كانت دالة على نقص او بعضها دالا على ذلك لما كانت كلها
حسنى ولهذا اذا كان الوصف محتملا للمدح ولغيره لم يدخل مطلقه في
اوصاف الله واسمائه كالمريد والصانع والفاعل ونحو ذلك قال المصنف
في البدائع الثامن عشر ان الصفات ثلاثة انواع صفات كمال وصفات
نقص وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا وان كانت السمية التقديرية
تقتضي قسما رابعا وهو ما يوصف كمالا او نقصا باعتبار ما والرب تعالى

منزه عن الاقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الاول فصفاته كلها صفات كمال
محض فهو موصوف من الصفات باكملها وله من الكمال اكمله وهكذا اسماؤه الدالة ٤٦
على صفاته هي احسن الاسماء واكملها فليس في الاسماء احسن منها ولا يقوم غيرها
مقامها ولا يؤدي معناها وتفسير الاسم منها بغيرها ليس تفسيرا يراد به محض
المعنى على سبيل التقريب والتفهيم واذا عرفت هذا فله تعالى من كل صفة كمال احسن
اسم واكمله واتمه معنى والعبد كل وان نعته عن شائبة عيب او نقص هو انتهى

اياك والالحاد فيها انه كفر وعاذ الله من كفر ان

وحقيقة الالحاد فيها الميل بالاشراك والتعطيل والانكار

فالملحدون اذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن

فلما بين ان اسماءه تعالى كلها اوصاف مدح حذر مما ينافي ذلك وهو الالحاد واخبر انه كفر
كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون وانما كان الالحاد فيها كفرا لانه رد لما اخبر الله به ورسوله
من صفات الله المقدسة ونعوته الكاملة بالميل فيها بالاشراك فيها وجعلها له
ولغيره كما يفعله المشركون او نفي معانيها وحقائقها كما يفعله المعطلة او انكارها
جملة كما يفعله الزنادقة ولهذا اخبر المصنف ان الملحدين فيها ثلاثة اقسام
كلهم حل عليهم غضب الله وعذابه قال في بدائع الفوائد العلم بها وهو الجامع
لما يتقدم من المعرفة وهو معرفة الالحاد في اسمائه حتى لا يقع فيه قال تعالى
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا
يعملون والالحاد فيها هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها
وهو ما خوذ من الميل كما يدل عليه مادة لحد ومنه اللحد وهو الشق في جانب القبر
الذي قد مال عن الوسط ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق الى الباطل ومنه
قال ابن السكيت الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه ومنه الملتحد
هو مفتعل من ذلك وقوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا اي ما تعدل اليه
وتقرب لمنه وتلتجئ اليه وتبتهل اليه من عنده تقول العرب التحد فلان الى فلان
اذا عدل اليه اذا عرف هذا فالالحاد في اسمائه تبارك وتعالى انواع ان
يسمي الاصنام بها كتسميتهم اللات من الالهة والعزى من العزيز وتسمية
الصنم الها وهذا الحاد حقيقة فانهم عدلوا باسمائه الى اوثانهم وآلهتهم الباطلة
ولهذا قال لهذا المشركون لانهم سموا بها اوثانهم قالوا له فان

ثم شبهوا المخلوق بالخلاق عكس تشبيه الخلاق بالانسان

اي يدخل في الالحاد في اسماء الله من جهة التشريك في التسمية المشركون الذين
شبهوا المخلوقات الناقصات من جميع الوجوه بالخالق الرب العظيم الكامل من كل وجه
فسموها الهة ونحلوا لها من اسماء الله ما نحلوا كما تقدم ويدخل فيه ايضا
المشبهة من غلاة الرافضة واليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق
فحملوا ما جاءت به نصوص الانبياء من اوصافه وكماله على ما يعقلونه من
صفات المخلوقين واعطوا صفاته خصائص صفات المخلوقين وهذا
من اعظم الالحاد في اسمائه وآياته

وكذا اهل الالحاد فانهم اخوانهم من اقرب الاخوان
اعطوا الوجود جميع اسمائه اذ كان عين الله ذا السلطان
والمشركون اقل شركا منهم لهم خصوصا هذا الاسم بالاوثان
ولذا ان كانوا اهل شرك عندهم لو عمموا اما كان من كفران

اي وكذلك يدخل في قول الملحدين الذين يشركون بين المخلوقين والخالق
ببعض خصائص صفات اهل الالحاد الذين عم شرهم وطغى كفرهم وتلطفوا
غاية التلطف في اضلال الناس بكفرياتهم الشنيعة التي لو اظهروها
على صورتها وحقيقتها لرأى الناس منها انكار رب العالمين جملة
وانكار الرسل والكتب جملة وانكار المعاد والبعث بعد الموت ولذلك
اتفق العارفون بما قالوا انهم اكفر من اليهود والنصارى والمشركين
ومما اكب العجب اغترار كثير ممن ينتسب الى الاسلام بهذا المذهب الخبيث
وتعظيمهم لاهله هذا المذهب حتى ادخلوه في كتبهم واعتبروه في مباحثهم
ونسبوه للتحقيق فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحقيقة مذهبهم
ان جميع العالم العلوي والسفلي شيء واحد متحد بعضه ببعض
وان تباينت اجزاؤه وتفرقت احواله فالخالق والمخلوق والرب
والمربوب والواجب الوجود والممكن الوجود هو الخالق نفس المخلوق
والرب نفس المربوب والعبد نفس المعبود وجعلوا الله كل صفة ممدوحة
ومذمومة اذ كان هو الممدوح المذموم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

فانهم

فانهم اعظم الملحدين في اسماء الله وصفاته والمشركون اقل شركا منهم
لانهم خصصوا معبوداتهم من الاصنام والاوثان باسماء الله وهؤلاء الملاحدة ٤٧
اعطوا جميع الموجودات اسماء الله واوصافه اذ كان اصل مذهبهم ان الله هو
عين هذه الموجودات قالوا وانما كفر المشركين لانهم خصصوا الالهية ببعض
المخلوقات ولو عمموا فجعلوا كل موجود الها ما اشركوا ولا كفروا فتبا لهم ما اضلهم
واعماهم حيث انكروا وجود واجب الوجود الرب العظيم الملك الكبير واشتبه
عليهم بوجود هذه المخلوقات الممكنات التي ليس لها من نفسها الا العدم عدم
الوجود وعدم الكمال وهذا التعطيل يكفي في رده مجرد تصوره فاه فساده معلوم
بضرورة العقل والشرع والمقصود ان هؤلاء الملاحدة من اردى الحاد في اسماء الله
وصفاته وهم اسوأ المخلوقات كما ضمها المشركون ببعض المخلوقات

والملحد الثاني فذو التعطيل اذ ينفي حقائقها بالبرهان
ما ثم غير الاسم اوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان

هذا القسم الثاني من الملحدين في اسماء الله وهم المعطلة لاسماء الله النافين لحقائقها
ومعانيها بالبراهين والحجة الالهية والاراء فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع
فلا يثبتون لله الا اسماء مجردة عن المعاني فيقولون عليم بلا علم سميع بلا سمع
بصير بلا بصر قدير بلا قدرة وان اثبتوا لها معنى اولوها بالمعاني المجازية التي
يعلم بالضرورة ان الله ورسوله لم يريدا بها بل ارادا غيرها ويدخل في هؤلاء
الجهمية والمعتزلة والاشعرية والماتريدية في الصفات الفعلية الخبرية فان
مسلكهم في هذا كمسلك الجهمية في الصفات الذاتية قال في البدائع ورابعها
تعطيل الاسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية
واتباعهم انها الفاظ محضة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه
اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا
بصر ولا كلام ولا ارادة تقوم به وهذا من اعظم الالحاد فيها عقلا ولغة وشرعا
وفطرة وهو مقابل الحاد المشركين فان اولئك اعطوا اسماءه وصفاته لالهتهم
وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في اسمائه
ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الالحاد فمنهم الغالي والمتوسط

والمنكوب وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله
فقد الحد في ذلك فليستقل او ليستكثر انتهى وقوله

فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم اول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الاسماء والـ وصاف بالاخبار والقرآن
فاذا لهم احتجوا عليك فقل لهم هذا المجاز ونحو وضع لكان
فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم لا يستفاد حقيقة الايقان
انى وتلك ادلة لفظية عزلت عن الايقان منذ زمان

يعني ان القصد من هذا المعطل الملحد دفع نص الكتاب والسنة الوارد في صفات الله ونعوته فهو مجتهد لدفعه غاية ما يمكنه بكل ما يقدر عليه فتيوسلون الى هذا القصد الباطل بتعطيل المعاني الصحيحة وتحريفها اي تعقيبها الى معان باطلة فينفي المعنى الحق ويثبت المعنى الباطل ثم ما يكفيهم هذا حتى يقذفوا اهل الحق المثبتين حقائق اسماء الله وصفاته على ما جاءت به النصوص بالتجسيم والتكفير ليفروا مما قولهم ويقبحوه بما وصفوهم به من الاسماء الباطلة ويسمون انفسهم اهل الحق ومقالتهم هي التنزيه قلبا للحقائق كما قال الله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فاذا لقيهم ناظروا اهل السنة والجماعة عرفوا ان نصوص الكتاب والسنة مع اهل السنة فيوصي بعضهم بعضا فيقولون اذا احتجوا عليكم فقولوا لهم هذا مجاز والمجاز هو ما وضع اولا وليس المراد به ما يفهم منه فاذا تمكنوا من هذا صالوا به وجالوا فاذا غلبوا عن المجاز واتاهم من الحقائق ما لا قبل لهم به والا بقي دعوى المجاز به كما هو جلي في نصوص الاسماء والصفات لجئ الى قاعدة لهم خبيثة باطلة وهي ان النصوص ادلة لفظية لا تفيد الحق واليقين وانما تفيد غلبة الظن ويزعمون ان الذي يفيد اليقين هو ارائهم الفاسدة وعقولهم الضالة فاذا اثبتت النصوص مخالفة لما استقر في نفوسهم

رؤوس اللازم حرفها على المراد بها موافقة لما يعتقدونه وقد غلطوا
في هذا اكبر الغلط وافحشه فان نصوص الكتاب والسنة في اعلى رتب
الحق واليقين وهي ارفع انواع الصدق فانها كلام الله الذي لا اصدق
منه قيلا ولا احسن منه حديثا وكلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ومع ذلك فقد ايد الله ورسوله
ما اخبر به من الحق بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة التي لا تبقي
في قلب مريد الهدى والحق ادنى ريب وغاية ما يوجد عند المتكلمين
من المعقولات والبراهين جزء يسير مما اشتمل عليه كتاب الله وسنة رسوله
بل لا يمكن ان يوجد في الكتاب والسنة مسألة واحدة مخالفة لما يعلمه
العقلاء اهل البصائر كمنافذة بل ادلة المعقول موافقة لادلة المنقول
فكيف يقول القائل انها ادلة لفظية لا تفيد اليقين مع انك بهذا
بهتان عظيم يلزم منه بطلان اخباره واوامره ونواهيه والكفر بجميع
العالمين رأسا فانه لا سبيل له ان يتناول اذا فتحت له هذه
القاعدة الشنعاء والمقالة التي لم يسبق المتكلمين بها احد من رسل الله
ولا من الصحابة والتابعين لهم باحسان ثم ان للمتكلمين اصلا اخر اليه يفزعون
عند تزاحم النصوص عليهم وبه يتحصنون عن ادلة الكتاب والسنة ذكره بقوله

فاذا تضافرت الادلة كثرة ... وغلبت عن تقرير ذا ابيان
فعليك حينئذ بقانون وضعناه لدفع ادلة القرآن
ولكل نص ليس يقبل ان يقال بالمجاز والاعتساف ثان
قل عارض المنقول معقول وما الا مران عند العقل يتفقان
ما شم الا واحد من اربع متقابلات كلها بوزان
اعمال ذين او عكسه او نفي كل المعقول ما هذا الذي امكان
العقل اصل النقل وهو ابوه ان تبطله يبطل اصله التحتان
فتعين الاعمال للمعقول والـ ـالغاء للمنقول بالقانون ذي البرهان
اعماله يفضي الى الغائه فالهجه هجر التردد والنسيان

يعني ان المتكلمين يصولون بهذا القانون الباطل على وضع احاديث الكتاب
والسنة وحاصل تقريره انهم يقولون اذا تعارض العقل والنقل
فلا بد من واحد من اربعة امور اما ان يعملا كلاهما او يلغيا او
يعمل النقل ويلغى العقل او يعمل العقل ويلغى النقل وعندهم ان الاقسام
الثلاثة الاول غير ممكنة وانه يتعين القسم الرابع وهو اعمال المعقول
والغاء المنقول وذلك لان اعمالهما مع التعارض غير ممكن فانهما لو
اعملا والحالة هذه لم يكن تعارض والغاؤهما ايضا غير ممكن لانه يلزم
منه ابطال العقل والنقل واعمال النقل مع الغاء العقل غير ممكن على زعمهم
لان اعمال النقل يقتضي الغاءه فان النقل لم يعرف الا بالعقل فهو الطريق
لثبوته على زعمهم فاذا قد حنا في الاصل الذي هو العقل لزم القدح فيما
يتفرع عنه وهو النقل فتعين حينئذ اعمال العقل والغاء النقل
بهذا القانون الفاسد ووجب ان توزن به نصوص الكتاب والسنة
وهذا التقسيم الذي حصروه بهذه الاقسام والحكم الذي حكموا به باطلان
عقلا وشرعا وقد تصدى لابطاله الامام الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله روحه في كتابه العقل والنقل فقال لما ذكر تقسيمهم هذا
والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الادلة السمعية
والعقلية الى اخره والكلام على هذه الجملة بني على بيان ما في مقدمتها
من التلبيس فانها مبنية على مقدمات اولها ثبوت تعارضهما
والثانية الحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة
بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاثة باطلة وبيان ذلك
بتقديم اصل ونعوان فيقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا
سمعيين او عقليين او احدهما سمعيا والاخر عقليا فالواجب ان يقال
لا يخلو اما ان يكونا قطعيين او يكونا ظنيين واما ان يكون احدهما
قطعيا والاخر ظنيا فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء
كانا عقليين او سمعيين او احدهما عقليا والاخر سمعيا

ومما اتفق عليه بين العقلاء ان الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله
ولا يمكن ان تكون دلالته باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان ٤٩
واحدهما ينافض مدلول الاخر للزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كلما
يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد انها قطعية فلا بد ان يكون الدليلان
او احدهما غير قطعي او ان لا يكون مدلولاهما متناقضين فاما مع تناقض
المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان احد الدليلين المتعارضين
قطعيا دون الاخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي
او العقلي فان الظن لا يدفع اليقين واما ان كانا جميعا ظنيين فانه يصار
الى طلب ترجيح احدهما فايهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعيا او عقليا
ثم اطال الكلام بما يشفي ويكفي رحمه الله تعالى ولما كان كلام المولى من المتكلمين
ينكد هذا القانون لديهم نوع مبالغة دفع هذا الوهم بقوله

والله لم نكذب عليهم انا ... ونعم لدى الرحمن مجتمعان

ولعلك يجزى الملحدون ودون تلقى الحاد يجزى ثم بالغفران

ولعله اخذه من قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون
فالملحدون يجزون بالعقاب الوبيل والمثبتون لله الاسماء والصفات النافين الالحاد
الملحد يجزون لعناك بالعفو والغفران والخلود في الجنة ونيل اعلى الكرامات

فاصبر قليلا انما هي ساعة ... يا مثبت الاوصاف للرحمن

فلسوف تجني اجر صبرك حين يجني العبد وزر الاثم والعدوان

فالله سائلنا وسائلهم عن ال ... ثبات والتعطيل بعد زمان

فاعد حينئذ جوابا كافيا ... عند السؤال يكون ذا تبيان

يرغب رحمه الله المثبت لصفات الله على صبره على ذلك لكثرة المخالفين
ورئي منهم المعارضة والمعاكسة فان الصبر عاقبته حميدة خصوصا
في المحن التي ستنقطع وربما اعقبها في الدنيا السعادة والفلاح
والعز والصلاح فان الدنيا كلها قليل وعمر الانسان منها اقل القليل
ووقات الابتلاء والامتحان غير يسير بالنسبة الى العمر وقته

فاسه سائل العباد عما كانوا عليه في الدنيا فمن كان جوابه ان يقول
قد قلت لرب ما قاله في كتابك وقاله رسولك محمد صلى الله عليه وسلم
فهذا الجواب المنجي ومن كان جوابه تقديم العقول الكاسدة والاراء
الفاسدة على ما قاله الله وقاله رسوله لم ينجه ذلك منجيا له من العقاب
ولا موصلا له الى الثواب فان الله لا يسال العباد الا عما جاءت به المرسلون
اقرارا وعلما وعملا

هذا وقالتهم فنافيها ونافي ما تدل عليه بالبهتان

ذا واحد الرحمن حقا لم يقل بخالق ابدا ولا رحمن

يعني ان الملحد الثالث هو النافي لاسماء الله ونافي ما تدل عليه من
صفات الكمال بالبهتان والقول الباطل وهذا اعظم انواع الالحاد فانه
متضمن لجحد الخالق وجحد ربوبيته وانواعه المقدسة وذلك
كفرعون ونحوه وكالفلاسفة الذين لا يثبتون قولهم على جحد رب العالمين

هذا هو الالحاد فاحذره لعل الله ينجيك من نيران

وتفوز بالزلفى لديه وجنة المأوى مع الغفران والرضوان

هذا اي جميع ما تقدم من الاقسام هو الالحاد بينه المصنف لاجل الاحذر
منه فانه موجب لدخول النار والحذر منه موجب للنجاة منها والفوز
بالزلفى عند الله في جنات النعيم ونيل المغفرة والرضى من الرب الكريم
فان العبد اذا نجى من الالحاد في اسماء الله وآياته كان متبعا لكتب الله
وما جاءت به الرسل وهذا الطريق الموصل الى السعادة الابدية واذا
خالفه هذا الطريق فمآله الطريق الجحيم ولما كان اكثر الناس قد سلكوا
طرق المهالك واقتطعتهم شياطين عن سعادتهم الا النادر منهم
وكانت النفس مجبولة على وحشة التفرد وعدم الرفيق حث المصنف
رحمه الله على لزوم الاستقامة وان قل الموافق وكثر المخالف فقال

لا تو حشنك غربة بين الورى فالناس كالاموات في الحيان

وما علمت بان اهل الجنة الـ ـخرباء حقا عند كل زمان

قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومنافق ومعاند ومحارب بالبغي والطغيان
وبظن انك وارث لهم وما ذقت الاذى في طاعة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا بلسان
منتك والله المحال النفس فيا ستحدث سوء ذا الراي والحسبان
لو كنت وارثه لاذاك الاولى ورثوا اعداه تبسأ الالوان

وكل هذا من حكمة الله تعالى حيث جعل لاهل الحق معارضهم ويقاومهم ويحرص على اذيتهم ورد ما معهم باي طريق ليقوم بذلك سبيل الجهاد وليتبين الحق من الباطل فان الحق اذا عارضه الباطل واقبل ظهر ما دلته وبراهينه ما يبهر العقول ووضح واستعلى وتبين ما في بطلان الباطل وفساده ما به العبرة لمن اعتبر وليحصل بذلك التمييز بين الصادق من الكاذب فان المؤمن الصادق المتبع للحق على الحقيقة لا تزيده المعارضات الا ثباتا على ما هو عليه وزيادة ايمانه ويقينه ايقانه بخلاف من في قلبه مرض الايمان قلبه ولم يصل اليقين الى حقه الى مرتبة الجزم الذي لا شك فيه فهذا الابتلاء يثبت عند المحن والقلاقل فانه من يعبد الله على حرف فمتى العافية المستمرة ربما لزم ما هو عليه ومن لطف الله في حق هذا ان لا يقيض له من المحن ما يزلزل ايمانه بل يعافيه والافتنة الله الجارية التي لا تغير ولا تبدل انه لا بد من الابتلاء كما قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فلو سلم هذه المعارضين من المعاندين والمنافقين والمحاربين لسلم الرسول وصحابه والتابعون لهم باحسان ثم لكان انه متبع لهم على الحقيقة وانه سيسلم من الاذى في سبيل الله وهو غالط فانه لا بد ان يكون للرسول واصحابه وراث ولاعدائهم وراث وسيقوم سوق الجهاد فان الدنيا دار مجاهدة وعبادة لا محل طمأنينة واستقرار فان الراحة التامة في جنات النعيم ومن المعلوم ان الراحة لا تدرك بالراحة بل لا بد من التعب والعناء ولكن قد يعين الله على عباده المؤمنين فيجدون من لذة المجاهدة في طاعة ربهم اعظم مما يجده اهل الشهوات الحسية ولهذا هو الواقع ولكن مرارة الابتداء تمنع اكثر الناس عن هذا الامر العظيم لمقتضى الله امرا كان مفعولا والله اعلم

فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الانبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين

وهذا النوع هو من بدء رسالة الله لرسله فانه كل نبي يبعثه الله يدعو قومه الى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فكل نبي يقول لقومه اعبدوا الله ما لكم من الهة غيره افلا تتقون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهو الذي خلق الله الخلق لاجله وامرهم به على السنة رسله وشرع الجهاد لاقامته وجعل الثواب في الدنيا والاخرة لمن قام به والعقاب في الدنيا والاخرة لمن تركه وبه الفرق بين اهل السعادة واهل الشقاء وعلى العبد ان يبذل جهده في معرفته وتحقيقه من كل وجه فيعرف حده وتفسيره ويعرف حكمه ومرتبته ويعرف اثاره ومقتضياته ويعرف شواهده وادلته وبراهينه وحجته التي تؤيده وتتميم وتقويه ويعرف شروطه ومكملاته ويعرف نواقضه ومفسداته لانه الاصل الاصيل الذي لا تصح الاصول الا به فكمل بالفروع فاما حده وتفسيره واركانه ومكملاته فقد ذكرها المصنف في ضمن قوله

هذا وثاني نوعي كتوحيد توحيد العبادة منك للرحمن
ان لا تكون لغيره عبدا ولا تعبد بغير شريعة الاسلام
فتقوم بالاسلام والايمان والـ احسان في سر وفي اعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان

فحده ان يعلم العبد ان الله هو الاله المعبود على الحقيقة فيفرده بانواع العبادة كلها الظاهرة والباطنة يعني انه يقوم بالاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وامثالها من الاعمال الظاهرة وبالايمان كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والتزام ما قاموا به اوجب الله وترك ما حرم الله وبالاحسان كالقيام بحقائق العلم والايمان

العلم والايمان والاعمال الصالحة وبه روحها ولبها المقصود منها فيقوم
51 بذلك كله خالصا لوجه الله تعالى متابعا فيه سنة رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ولهذان الركنان الاخلاص للمعبود والمتابعة للرسول ركنان
واساسات قلت شروط لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل عبادة خلت منهما
او من احدهما فهي باطلة غير مقبولة بها قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال تعالى ليبلوكم ايكم
احسن عملا قال الفضيل بن عياض رحمه الله اخلصه واصوبه قالوا يا
ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان
صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة
وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من احدث في
امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وحقيقة لهذا التوحيد انه يسمى توحيد الالهية بالنسبة
الى وصف الله المقتضي لان يكون هو المحبوب المألوه المعظم المعبود وحده
ويسمى توحيد العبادة بالنسبة الى وصف العبد الذي هو اخلاص جميع
انواع العبادة التي شرعها الله ورسوله لله تعالى فالالهية وصف الله تعالى
والعبودية وصف العبد ولهذا جمع الله بين الامرين في قوله لموسى اني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني وفي قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه
وقول الرسل لامهم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره واذا علمنا ان هذا
حده وتفسيره فمن المعلوم ان الداخلين في هذا الاسم متفاوتون تفاوتا
عظيما وانه بحسب قيام العبد بالاسلام والايمان والاحسان والاعمال الصالحة
علما وعملا وحالا تكون مرتبة العبد في توحيده وكماله فيه والاجر والثواب
في الدنيا والاخرة على هذا الاصل في كل خير في الدنيا والاخرة فانه من اثار التوحيد
وثمراته كما انه كل شر في الدنيا والاخرة فمن اثار تارك التوحيد ثم في المؤلف
الاخلاص والمتابعة فقال وحقيقة الاخلاص توحيد المراد فلا يراد بشيء
من مراد العبد يبتغى واحدا ما فيه تفريق وله ما الاستان

يعني ان الاخلاص حقيقته ان يوحد العبد مراده ومقصوده فتكون
نيته وارادته متعلقة بالله وحده لا شريك له فلا يكون لهذا المراد
من اجل بواعثه من الاغراض النفسية بل يكون وصف العبد الاخلاص لله على
الدوام ويقوم بما يقوم به من الاعمال مستحضرا لهذا المعنى الشريف
خاليا من الرياء والمقاصد المخالفة لهذا المقصود ولهذا كان العمل صالحا
مقبولا منجيا للثواب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه متفق عليه
ففاوت بين العملين وصورتهما واحدة بحسب تفاوت النيتين والمقصود
وكذلك لما سئل عن رجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه
اي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله متفق عليه فعلى العبد ان يجاهد نفسه على الدوام
في كل فرد من افراد العبودية على ان يقصد به وجه الله وحده لا شريك له
ويجتهد في دفع الخواطر المنافية لذلك ليكون الاخلاص له وصفا
وخلقا ونورا وروح التوحيد والاعمال الصالحة وتمام ذلك ان
يراعي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله
الظاهرة والخفية وذلك تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فينفي الالهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده ويتحقق
بمعناها ويصدق الرسول في خبره ويطيعه في امره ثم ذكر نموذجا
من الادلة الدالة على التوحيد والعبادة وقال

ان كان ربك واحدا سبحانه فاخصصه بالتوحيد مع احسان
او كان ربك واحدا انشأ كل شيء له اذ انشأ رب كان
فكذا اكن وحده فاعبده لا تقبل سواه فاحز العرفان

ايضا

يعني اذا كنت مقرا بان ربك واحد فهو الخالق الوارق المربي لك
ولسائر المخلوقات فخصه بالتوحيد والاعمال الصالحة فاذا علمت

انه

الله الذي انشاك وحده من غير مشارك له ولا معاون فكذلك عبده
وحده لا تعبد غيره فمن لم يكن كذلك وهذا الدليل وهو الاستدلال بتوحيد ٥٢
الربوبية على صحة توحيد العبادة كثيرا ما يذكره الله في كتابه ويستدل
به على المشركين الذين ينكرون توحيد الالوهية فليتفهم باقوالهم
بتوحيد الربوبية على ما انكروه من توحيد الالهية كما قال تعالى
قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ويخرج من صح
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله
فقل افلا تتقون وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون الى غير ذلك من الايات وهذا دليل
واضح جدا ينتقل الذهن منه الى المدلول بادنى ملابسة فانه اذا كان من المعلوم
المتقرر عند كل احد حتى المشركين بالله ان الله هو الخالق وحده المدبر لجميع
الامور وكل ما سواه مخلوق مدبر فان العقل والفطر تجزم بانه يتعين عبادة
الله وحده وانه المستحق للعبادة دون من سواه ممن لا يملك نفعا ولا
ضرا ولا حياة ولا نشورا ولا له من الكمال ما يقتضي ان يعبد لاجله واعلم
ان ادلة التوحيد كثيرة جدا يحسن عد انواعها فضلا عن افرادها
وكان سننقل لهنا عبارة تنافي التفسير على قوله تعالى فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك الاية قلت العلم لابد فيه من اقرار القلب ومعرفته الله ص
بمعنى ما طلب منه علمه وتمامه العمل بمقتضاه وهذا العلم الذي امر الله به
وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل انسان لا يسقط عن احد منه
عقله فما كائنا من كان بل كل مضطر الى ذلك والطريق الى العلم بانه لا اله الا
الله هو امور احدها بل اعظمها تدبر اسمائه وصفاته وافعاله
الدالة على كماله وعظمته وجلاله فانها توجب بذل الجهد في التأله
والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال

الثاني العلم بانه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك انه المنفرد بالالوهية
الثالث العلم بانه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية
فان ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتالله وحده لاشريك له الرابع
ما نراه ونسمعه من الثواب لاوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعيم
العاجلة ومن عقوبته لاعدائه المشركين به فان هذا داع الى العلم بانها
وحده المستحق للعبادة كلها الخامس معرفة اوصاف الاوثان والانداد
التي عبدت مع الله واتخذت الهة وانها فاقصة من جميع الوجوه فقيرة
بالذات لاتملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا ولا يضرون من عبدهم ولا ينفعونهم مثقال ذرة من جلب
خير او دفع شر فان معرفة ذلك والعلم به يوجب العلم بانه لا اله الا الله
وبطلان الهية ما سواه السادس اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه
السابع ان خواص الخلق الذين لهم اكمل الخليقة اخلاقا وعقولا ورايا
وصوابا وعلما وهم الرسل والانبياء والعلماء الربانيون قد شهد والله بذلك
الثامن ما اقامه الله من الادلة الافقية والنفسية التي تدل على التوحيد
اعظم دلالة وتنادي عليه بلسان حالها اوضح مقال وتوضحه صنعته
وبديع حكمته وغرائب خلقه فهذه الطرق التي اكثر الله من دعوة
الخلق بها الى انه لا اله الا هو وابدا لها في كتابه واعادها عند تامل العبد في
بعضها لابد ان يكون عنده يقين وعلم بذلك فكيف اذا اجتمعت وتواطأت
وانفقت وقامت براهين التوحيد من كل جانب فهنالك يرسخ الايمان
والعلم في قلب العبد بحيث يكون اعظم من الجبال الرواسي لا تزلزله الشبه
والخيالات ولا يزداد على تكرر الباطل والشبه الا نموا وكمالا هذا ان نظرت
الى الدليل العظيم والامر الكبير وتدبرت هذا القرآن العظيم والتامل في
اياته فانه الباب الاعظم الى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله
وجمله ما لا يحصل في غيره اذا خر ما ذكرته على تلك الاية الكريمة وهذه
المذكورات اجناس وانواع للادلة لو فصلت وبحثت لبلغت مئات كثيرة

قال المصنف

ماذكر في توحيد المبطلين وشرحه

قال المصنف في مدارج السالكين فصل واما التوحيد الذي دعت اليه رسل الله وانزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالاول هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى واسمائه وصفاته وافعاله وعلوه فوق سمواته على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لملائكته وعباده واثبات جميع مقتضى ربوبيته وقدرته وحكمته وقد افصح القرآن عن هذا النوع جد الافصاح كما في اول الحديد وسورة طه واخر سورة الحشر واول تنزيل السجدة واول آل عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك النوع الثاني مثل ما تضمنه سورة قل يا ايها الكافرون وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية واول سورة تنزيل الكتاب واخرها واول سورة يونس ووسطها واخرها واول سورة الاعراف واخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد بل نقول قولا كليا ان كل اية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله فهو كتوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو كتوحيد الطلبي الارادي واما امر ونهي والزام بطاعته وتحذير من معصيته فهو من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن كرامة الله لاهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الاخرة فهو جزاء توحيده واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عن حكم مخالف لتوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك واهله وجزائهم فالحمد لله

توحيد رب العالمين توحيد الرحمن الرحيم توحيد مالك يوم الدين توحيد اياك نعبد توحيد اياك نستعين توحيد اهدنا الصراط المستقيم توحيد متضمن لسؤال الهداية الى طريق اهل التوحيد الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين فارقوا التوحيد ثم اطال الكلام في هذا الموضع بما لا يسعه هذا الموضع عنه

والصدق توحيد الارادة ويعبر بـ الجهد الكسلا والامتوان
والسنة المثلى لسالكها فتوحيد الطريق الاعظم السلطان
فلواحد كن واحدا في واحد اعني سبيل الحق والايمان
يعني ان التوحيد لايتم الا بثلاثة امور توحيد المراد وهو الاخلاص
كما تقدم وتوحيد الارادة وهي ان لاتكون الارادة منقسمة بان
يبذل العبد جهده ومقدوره في القيام بما امر الله به علما وعملا
ووصفا من غير كسل ولا توان ولا انحلال عزيمة فهذا حقيقة
الصدق وتوحيد الطريق هو اتباع السنة ظاهرا وباطنا
ثم اجمل الثلاثة في قوله فلواحد اعني لله وحده وهو الاخلاص كن
واحدا اي مجتمع الارادة والقصد والعمل وهو الصدق في واحد
وهي المتابعة فسره بقوله اعني سبيل الحق والايمان اي وما
سواها من الطرق فانها طرق الغي والضلال والكفر والوبال
وهذي ثلاث مسعدات للذي قد نالها والفضل للمنان
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
يعني ان من اجتمعت له هذه الامور الثلاثة بان يكون الاخلاص
خلقه ووصفه واعماله مقرونة به والصدق والاجتهاد قرينه
وحامله واتباع الرسول طريقه فهو كسابق حقا المستولي على
الغاية التي لاغاية فوقها والكمال الذي لاكمال فوقه وحصلت
له السعادة والفلاح والفوز والارباح فان تخلف كمال العبد وحرمانه
مداره على فقد واحد من هذه الثلاثة او اثنين او كلها
يا قلب شام لها ئك البرق من الحمام فهم بالطيران
لولا التعلل بالرجاء تصدعت اعشاره لتصدع الحيران
وتراه يبسطه الرجاء فينثني مما يلاقي النسوان
ويعوقه تقبيضه الاياس لكونه متخلفا عن رفقة الاحسان
فتراه بين القبض والبسط الذي ن لها لافق سمائه قطبان

وبدالم

وبذاله سعد السعود فصار مسرا علیه لا علی الدوران
لله ذیاک الفریق فانهم خصوا بخالصة من الرحمن
شدت رکائبهم الی معبودهم وبسوله باضیة الکسلان
یتعجب المؤلف رحمه الله ویستعظم فعلها من قلب من الله علیه بالتحقق
بالصدق والاخلاص والمتابعة حتی صارت له نعتا وصارت رغبته
کلها فی مراضی ربه فی کل وقت فکلها بذاله منزلة من منازل السائرین
وفضیلة من فضائل العاملین بادر الیها شوقا ومحبة وانقاد لها طوعا
واختیارا بمنزلة من طالع البروق من حنایا الاحبة علی بعد فصار قلبه
یتأنق حتی یکاد یهم ان یطیر الی احبابه ویتمتع بلقائهم الذی الذ للمحبین
وعز علیهم مما رواحهم فلولا ان المحب یتعلل بقرب اللقاء ویحدث نفسه باجتماعه
باحبته لتصدعت اعشار قلبه ای جوانبه لتصدع الحیران الذی حیرة الحب
وذهب بشعوره کذلک المحب لله تعالی یجهد نفسه فی مراضیه حتی تنمو
محبة الله فی قلبه ویحدث له الشوق والقلق فلولا انه یلاطف نفسه برجاء
اللقاء لذابت نفسه واحترق لبه ثم اذا نظر الی نفسه وتقصیره وتخلفه
عن رفقه السابقین قبضه الیأس فتجده بین الخوف والرجا اللذین هما
لعمل العبادة واعماله کالقطبین فی النجوم فالعبادات کلها تدور
علی الخوف والرجا فمرجو العبد قبولها وتقربه بها لربه ویخاف من ردها
وعدم القیام بها ویحقق فیها ان نظر الی رحمة الله ولطفه انفتح له باب
الرجا والطمع وان نظر الی تقصیره وما یستحقه الله من العبودیة
التی لاجلها العبد القیام بها احدث له القبض وباعتدال الخوف والرجاء
یعتدل سیر العبد فاذا رجح جانب الرجا غلب الامن مکر الله
وحصل الادلال والشطح الذی لا لیق بالمخلوق وان رجح جانب الخوف
غلبه الیأس والقنوط من رحمة الله ولهذه المراتب اللذان
المحبة والخوف والرجا اصل اعمال القلوب وبها تستقیم الاعمال الظاهرة
والباطنة وقد جمعها الله فی قوله اولئک الذین یدعون یبتغون الی ربهم

الوسيلة اليهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
وقول المصنف وبذالك سعد السعود البيت يحتمل ان مراده بهذا التشبيه ان سير
هذا الفريق لما كان مصاحبا للخوف والرجاء وكانت روحه المحبة كان سيرا لمحمودا
مآله الى الفوز والفلاح والعلو وحصول الارباح بخلاف من كان سيره سير
البطالين الكسلان فان سيرهم الوراء قال تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
ويحتمل انه اراد بسعد سعود السير على متابعة الرسول والاقتداء بهديه وتجنب
السير على الدوران كالسير خلف كل من خالف الرسول وقوله لله ذيا كم الغرر
اى الموصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا التصغير المراد به التعظيم والتعجب من
حسن حالهم وعلو قدرهم ولهذا قال فانهم خصوا بخالصة من الرحمن اى
اخلصهم الله من كل كدر واختصهم بولايته قال تعالى عن خيار انبيائه انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار اى جعلنا ذكر الدار الاخرة في قلوبهم والعمل لها صفوة
وقتهم والاخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم وجعلناهم ذكرى الدار
يتذكر بها اهل العلم المتذكر ويعتبر بهم المعتبر ويذكرون باحسن الذكر وقوله
سددت ركائبهم الى معبودهم هذا هو الاخلاص ورسوله بالمتابعة
باطيبة الكسلان الذي يتخلف عن فريقهم ولم يسلك مسلكهم في قطع طريقهم

فصل في بيان ما ينافض هذا التوحيد من
الشرك الاكبر والاصغر ووسائل ذلك

والشرك فاحذره فشركك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن ايا كان من حجر ومن انسان
يدعوه او يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الرحمن

يعني ان الشرك نوعان ظاهر وهو الشرك الاكبر المخرج من دائرة الاسلام
الى دائرة الكفران الذي لا يغفره الله ولا يدخل صاحبه الجنة بل هو من
اصحاب النار وحده اتخاذ الند للرحمن من الملائكة او الرسل او الاولياء
او الحيوانات او الجمادات يتقرب اليه كما يتقرب الى الرحمن بالدعاء والخوف
والرجاء والمحبة وسائر انواع العبادة فحقيقة ان يصرف العبد نوعا
من انواع

من انواع العبادة لغير الله تعالى وسواء سمى من تقرب اليه بذلك الها ام لا
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقال تعالى
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وان الساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار الى غير ذلك من
الايات الدالات على كفر من عبد مع الله غيره وخلوده في النار واما الشرك الاصغر
فهي كل وسيلة قريبة موصلة الى الشرك الاكبر اذا لم تصل الى رتبة العبادة كالحلف
لغير الله والرياء والتصنع للمخلوقين والقلق من الاموات ونحو ذلك فلا يتم للعبد
التوحيد حتى يتبرأ من الشرك كله ظاهره وباطنه ويخلص لله اعماله كلها ولهذا
التوحيد الذي هو عبادة الله وحده هذا الذي انكره المشركون على رسول الله وقالوا
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وهم مقرون لله بتوحيد الربوبية وانه الخالق
وما سواه مملوك ولهذا قال المصنف

والله ما ساووهم بالله في ... خلق ولا رزق ولا احسان
فالله عندهم هو الخلاق والـ ... ـرزاق مولي الفضل والاحسان
لكنهم ساووهم بالله في ... حب وتعظيم وفي ايمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لاجل الله ما ... عادوا احبته على الايمان
ولما احبوا سخطه وتجنبوا ... محبوبه ومواقع الخسران
شرط المحبة ان توافق من تحب ... على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك بما يحب فانت ذو بهتان
اتحب اعداء الحبيب وتدعي ... حبا له ماذاك في امكان
وكذا تعادي جاهدا احبابه ... ان المحبة ما اطاع الشيطان

يريد المؤلف رحمه الله تعالى عن اهل النار حين رؤا بطلان عبادتهم
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين اي انهم ما ساووهم بالله
بالخلق والرزق والاحسان فان المشركين كما تقدم مقرون بان الله هو الخالق الرازق
المتفضل بالنعم الظاهرة والباطنة وانما سووهم بالله في الحب والتعظيم والعبادة

فاحبوهم مع الرحمن وسلوكهم فيها كما قال تعالى ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فهذا الحب مع الله الذي يقدح في
التوحيد فلو كانت محبتهم لله او لاجله لاحبوا ما يحبه الله من الاعمال
والاشخاص فان هذا علامة المحبة لله واما من زعم انه يحب الله ثم
عادى اولياء الله وعادى ما يحبه الله من الاعمال ووالى اعداء الله وما يبغضه
من انواع المعاصي فهذا كاذب في دعواه فان شرط المحبة موافقة
المحبوب في محابه قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وكما قال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ومن صفات المحبين
لله انهم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين فالمحبة ثلاثة انواع محبة الله وهي روح التوحيد واصل
العبادات والقربات كلها ومحبة في الله وهي محبة ما يحبه الله من اتباعه
واوليائه والاعمال المقربة الى الله وبهذه يتم تمام محبة الله وبحسب
قوة محبة الله تقع بهذه المحبة ولهذا ورد في الدعاء المشهور
اللهم اني اسالك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربني الى حبك
والثالث المحبة مع الله وهي محبة المشركين لاندادهم مع الله محبة
عبودية وبهذه منافية للتوحيد مناقضة له وثم محبة طبيعية
لا تحمد ولا تذم الا اذا ادت الى محبة الطعام والشراب ومحبة الالف والوطن
ونحو ذلك ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والاركان
يعني ان حقيقة المحبة هي توحيد المحبة والذل والتعظيم لله فان
فالعبادة حب كامل وذل تام للمحبوب
والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرضي بحيث

ووفاقه نفس اتباعه امره والقصد وجه الله ذي الاحسان
لهذا هو الاحسان شرط في قبول السعي فافهمه من القران
والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وابطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت امر النفس والشيطان
وتخذت انداداً تحبهم كحب الله كنت محارب الايمان
سر يدرحمه الله ان المحبة في الحقيقة نفس موافقة الله في محبة ما يحبه وبغض
ما يبغضه وذلك يتحقق باتباع امر الله الذي شرعه على لسان رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم في اصول الدين وفروعه في ظاهره وباطنه
مع الاخلاص لله تعالى وارادة وجهه الاعلى وهذه الموافقة المشتملة
على المتابعة والاخلاص هي الاحسان الذي قال الله فيه ليبلوكم ايكم احسن
عملا اي اخلصه واصوبه وفي قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وفي قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا والمتابعة لا تمكن الا باتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم فمن نبذ كتاب الله وسنة رسوله وتبع اوامر النفس
الامارة بالسوء والشيطان الذي لا يأمر الا بالسوء والفحشاء واتخذ من دون
الله انداداً يحبهم كحب الله خرج من الايمان من حيث يظن انه مؤمن
فان اتخاذ الانداد من دون الله مناقض لقول لا اله الا الله وان الخروج عن
الاقتداء بالكتاب والسنة مناقض لشهادة محمد رسول الله وما اكثر من
يدعي هذا الوصف ممن ينتسب الى الايمان والتحقيق كما قال المصنف
ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام سلوكا ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسموهم به في الحب لا السلطان
والله ما ساووهم بالله بل زادوا لهم حبا بلا كتمان
والله ما غضبوا اذا انتهكت محا رمهم بكم في السر والاعلان
حتى اذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصان
فاحارك الرحمن من غضب وسخ طوب ومن سخطه ومن عدوان

واجاد ذكر الرحمن مع ضرب وتعزير ومع سب ومع سجان
والله لو عطلت كل صفاته ما قاله لوكر ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله بصاحب نجا واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم او غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى اذا خالفت ارادى حا لسنة المبعوث بالفرقان
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا انتقصت الكبار وسائر العلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم تسلبهم حقا لهم لكن بأنك ذا كذب وذا عدوان
واذا سلبت صفاته وعلى كلامه جهرا بلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الاحسان
والامر والله العظيم كما يقو قول الوصول الخفي على العميان
واذا ذكرت الله قد صيدا ابيت وجوههم مكسوفة الالوان
بل ينظرون اليك شزرا مثل ما نظر البهوت ارعصا الحيران
واذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون بتباشر الفرحان
والله ما شموا روائح دينه يا ربكم اعميت حبيب زمان

وهذه الابيات واضحة المعنى والامر كما قال المصنف عن هذا الفريق المنتسب للاسلام الذي يقتضي منهم دينهم تعظيم ربهم والقيام له بحق العبودية ولرسوله بحق الرسالة فعكسوا القضية فاتخذوا لهم اندادا من دون الله يعبدونها ويفضلونها اعظم مما يفضلون الله والدليل على هذا انه لو انتهكت محارم الله لم يغضبوا واذا قيل فيما يتحلونه من ذلك الوثني بعض ما فيه من النقص اشتد غضبهم وتبأسروا اذا مدحت شركاؤهم واذا ذكر قد صيد الله تغيرت وجوههم واشمأزوا وكذلك جعلوا لهم رؤساء يطيعونهم في كل حال وجعلوهم بمنزلة الرسول المعصوم الذي الله وافعاله فيقدمون طاعتهم على طاعة الرسول ومن خالفهم لقول الرسول ومن به بانه منتقص لهم مبغض فهل بقي بعد هذا ايمان

ونكتب كلمة الامساس قبل الاحساس فانا لله وانا اليه راجعون
فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة وان يحفظ لنا ديننا
مما كل مشرك وشبهة وبدعة وضلالة ومعصية اقول على كل شيء قدير
ثم ما اردت تعليقه ولله الحمد والمنة والفضل والاحسان وصلى الله على محمد
وسلم تسليما كثيرا فرغت من تسويده في ٢٣ شعبان ١٣٤٤
وانا الفقير الى الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي